دِفْءِ يَنَايـــر

دِفْء يَنَابِـر
قصص
عبد الهادي شعلان
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : ٢٠١٨
ISBN 978 -977-6535-99-2
رقم الإيداع : ٢٢٨٢ / ٢٠١٨
ديوى : ٨١٣
١١٢ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

دِفْءِ يَنَاير

قصص قصيرة

عبد الهادي شعلان

دِفْءِ يَنَايِر

عِطْر الكُرَة الأَرْضيَّة

صَبَاح الجمعة، خَرَجَتْ جَدَّتي من الحَمَّام وهي ترتدي السَّواد وجَلَسَتْ أمام زجاجة العِطْر ثُمَّ أخذتْ قَطْرة ووضعتها خَلْف أذنيها وغابتْ بروحها عني فقلتُ لها: أين جَدِّي؟ قالت: في جَنَّة العِطْر، وسقطتْ من عينها قطرات لؤلؤ فبكيت.

أحبُ يوم الجمعة، وأحبُ أُذُن جَدَّتي حين تنحني تُقَبِّلني فَأَشُم عِطْرًا يُدْخِلني الجَنَّة ويجعلني أجري فوق السَّحاب، وأعوم في زُرقة الموج فأدُسُّ أنفي في عمق أذنها؛ لتَمْتَصَّ روحي مزيدًا من العِطْر والسِّحر، فتضحك وتُبْعِد أذنها عني فأتشبَّثُ بها حَتَّى لا يذهب عني رُوح العِطْر.

كل خميس يحملني أبي لجَدَّتي، فتربتُ على كتفه وتبتسم له وتدعو له بالسَّعَادة، يَحْمَرّ وجهه ويتركني فأسمع أقدامه على السَّلالم كأنَّه على موعد مع فرح يَشُقّ روحه.

أَظَلُّ ألعب مع جَدَّتي حَتَّى يَحْمَرّ وجهها، حين تَسْمَع خطوات جَدِّي، أنعسُ وتَرْبتُ على شعري فأتصنَّع النَّوْم، وتتركني على السَّرير وحدي أترقَّب لحظة دخولهما غرفتهما يتضاحكان.

أنا أحب جَدَّتي وأحب جَدِّي وأجلس في الصَّالة بعد أن يدخلا غرفتهما، وأنتشي حين يسكت ضحكهما ويبدأ صمت بينهما يجعل روحي تسبح في الهواء، وأترقَّب سِحر العِطْر.. حين تتسرَّب رُوح العِطْر من تحت الباب ويدخل أنفي، أرقص طائرًا وأعوم في الفراغ وأحلم كل الأحلام المُعَطَّرة، وأنام في الجَنَّة على مقعد الصَّالة وأنفي مُعَلَّق بباب الغرفة.

وأنا غارق في دوامة العِطْر، أشعر بجَدِّي يخرج من غرفته، يَنْضَح العرق من شعر صدره، يفتح الثَّلاجة ويأكل تفاحة وينظر فيراني نائمًا، فيحملني ويُدْخِلني للسرير وهو يُقبِّلني، أشم رائحة جسده الغارق في عِطْر جَدَّتي فأظل أحتضنه فيربت على ظهري حَتَّى أهدأ وأدخل بوابة العِطْر وأتوه في الحُلم.

صباح الجمعة وعندما خرجتْ جَدَّتي من الحَمَّام، تَبِعْتها وجلستُ على السَّرير وهي تبتسم للمرآة، وتأخذ قطرة من زجاجة العِطْر التي تشبه الكُرَة الأرضية وتضعها خلف أذنيها، وحين فاحت رائحتها ذهبتُ إلى الزُّجَاجَة وأردتُ أن أفتحها قالت: "لا، هذا سِر" وأخذتْ قطرة على طرف إصبعها ولمستْ أنفي فدخلتُ الجَنَّة.

رُوح العَالَم

السَّمَاء مُشَبَّعة بغيوم ناعمة وروحي مُعَلَّقة من مساء الأمس، قلت أذهبُ للكورنيش؛ لَعَلِّي أمتلئ بيود الحياة، فتحتُ صدري وانتعشتُ، وسرتُ موازيًا للمباني وجعلتُ طَعْم الْبَحْر على يساري ووَجَدْتُنِي أنطلق في الفراغ، إذ الكون كان فجرًا ولم يكن أحد مُؤرَّق مثلي، فامتلكتُ الكورنيش وحدي وقفزتُ وجريتُ ورقصتُ واعتليتُ سور الكورنيش، وفَرَدْتُ يديَّ كعصفور، وطِرْتُ حَتَّى انقطع نَفَسي فانحنيتُ ضامًا رأسي بين يديّ، ألتقطُ أنفاسي وضحكتُ وقفزتُ من على سور الكورنيش، ووضعتُ يدي في جيبي وسرتُ، أخرجتُ سيجارة ودَخَّنتُ فاختلط رَذَاذ الْبَحْر في دُخان سيجارتي.

من بين سحائب الدُّخَان رأيتها وحيدة تسير على الجانب الآخر، ملاصقة للمباني قَدْر استطاعتها، ترتدي مِعْطفًا بنفسجيًا وبنطلون جينز، تضع يديها في جيوب المِعْطف وتُحَاوِل قَدْر استطاعتها أن تُحكمه عليها، شعرتُ برَجْفَة ورغبة في رؤية وجهها، إذ كيف تسير في هذا الوقت وحيدة؟! قلت لعل صدرها ضائق مثلي فخرجتْ تَشُم روح العَالَم في وقت خلوة من البشر.

عَبَرتُ الطَّرِيق وأنا مطمئن وركزتُ عيني عليها وتأكدتُ أن شعرها طويل وناعم ومنسدل على المِعْطف البنفسجي، قفزتُ فوق الرَّصيف وصرتُ مواجهًا لها تمامًا، هي آتية لي وأنا ذاهب إليها، كنتُ أضع يدي في جيبي وهي مازالت تحتفظ بدِفْء يديها داخل جيوب المِعْطف، حين اقتربتُ منها رفعتْ يديها ونفختْ من أعماقها دفئًا سَرَى من تجويف يديها لأعماق روحي فنظرتُ لعينيها، كانت تلمع بلمعة غريبة وكأنَّها لم تَنَمْ طوال الليل مثلي. قالت: "صباح الخير" ومَرَّت جانبي ولم تلتفت حيث وقفتُ متوجهًا بكُلّي إليها فمنحتني ظهرها ومَرَّت وأنا ظللتُ أردِّد: "صباح النُّور، صباح النُّور".

تَسِير عَلى نَجْمَتَين

قذفتُ ملاءة سريري وتنفستُ بكل كياني فلم يكن هناك هواء، قمتُ مخنوقًا وفتحتُ صدري لنسيم الشُّبَّاك وعببتُ الهواء داخل روحي، كأنَّ الهواء يشق صدري للمرَّة الأُوْلَى في حياتي، وشعرتُ أن صدري يَتَفَسَّخ وأن روحي تستنشق العَالَم وأن الكون يتسرَّب داخلي.

أوقَدْتُ سيجارة لأدخن الكابوس الذي كتم روحي وكاد يُطْبق على كل خلية من خلايا صدري، حين لَثَمْتُ السِّيجارة دَخَلَنِي التَّبغ بهدوء فاستحلبته بعمق وامتصصتُ روح السِّيجارة وأطلقتُ دخانها حَوْل وجهي لأستمتع بعبقه الخفي والذي لا يدركه سوى الخَاصَّة وأغمضتُ عيني وانتشيتُ في غيمة التبغ.

سمعتُ صوتًا ناعسًا يهمس: "مساء الخير". أزحتُ الدُّخان بيدي ونظرت.. لم يكن هناك غير شباك نصف مغلق تقف فيه أنثى، شعرها حُر على كتفيها، وبان بياض عنقها يُضَوّي خلف الدُّخان، تَلَفَّتُّ فوجدتُ الكون ناعسًا وتأكدتُ أنَّها تعنيني حين أشارتْ لي: "مساء الخير".

أطلقتُ دفقات من دخان صدري وأنا أُكذِّب روحي لأنها صعدتْ فوق سور الشُّبَّاك.. دعكتُ عيني وبحلقتُ فَمَشَتْ على سور الشُّبَّاك بفستان سماوي يشبه فساتين العرائس وخَطَفَ بصري قدماها، إذ كانت بلا حذاء وكان البياض يضخ من كعبيها نورًا وكأنَّها تسير على نجمتين.

أخذتُ أنفاسًا سريعة من سيجارتي وكتمتُ الدُّخان داخل عروقي حين رأيتها تترك سور الشُّبَّاك وتمشي على الحائط، لَفَّتْ حَوْل الشُّبَّاك وصعدتْ وهبطتْ وكاد نَفَسي ينقطع وكادت روحي تنخلع فطردتُ الدُّخان مَرَّة واحدة وملئتُ صدري هواءً وبحلقتُ فيها.

رقصتْ على الحائط وكأنَّ شخصًا لا أراه في حضنها يراقصها وكأنَّها تسمع موسيقى لا يسمعها غيرها.. أشارت لي: تعال. فتأكدتُ أنها تراقص الفراغ بين يديها حيث هُيِّئ لي أنَّها تراقص أحدًا، وسمعتُ الموسيقى تعزف، فدارتْ وابتسمتْ لي وقالت: "أتسمع الموسيقى؟". قلت: "نعم". أصابها فرح الدنيا ورقصتْ رقصات لم أعرفها طوال حياتي وكادت تطير وقالت: "تعال، تعال" فوقفتُ على سور شباكي فأشارتْ للسيجارة وكأنَّها ستمنعني عن السَّير على الحائط فألقيتها وقلت أني سأسير على الحائط مثلها، لكنني أصابتني رَجَّة وانقبضتْ روحي وقفزتُ داخل غرفتي.

ظَلَّتْ ترقص بتوتر وهي تشير لي أن أذهب إليها، وأنا انحنيتُ على سور الشُّبَّاك مقطوع النفَس، ظَلَّتْ تَلِفُّ وتدور ويديها تشير لي

قلت: "لا أستطيع". قالت: "أنت بلا عزيمة" وتَرَنَّحتْ قليلاً وسقطتْ وعيناها لا تفارقان النَّظر داخل روحي.

تَشَقَّقتُ وكدتُ أقفز إليها لكني جريتُ ونزلتُ الشَّارع فوجدتها مستلقية في منتصف الطَّرِيق وليس بها قطرة دم واحدة، وكأنَّها استيقظت الآن من حُلم رائع بين الحقول، وشَمَمْتُ رائحة التَّبغ فكدتُ أمسح شعرها المبعثر كشمس، لكنها قالت: "لو رقصتَ معي على الحائط لم أكن لأسقط أبدًا". قلت: "أنا لا أستطيع السَّير فوق الحوائط". قالت: "روحك ضعيفة، لو تَمَكَّنَتْ الموسيقى من قلبك حقًّا وجئتني وأنت فارغ من هموم العَالَم لقفزتَ على الحائط ورقصتَ بسهولة". قلت: "أنا لا أصدق". قالت: "مازال الشَّك يَغْمُر أعماقك، أنت السَّبب في انهياري، إنَّني أحتضر". قلت: "أنا السَّبب؟!" قالت: "نعم، لو كان قلبك ينبض بالموسيقى التي سمعتها لجئتني وأنقذتَ روحي". قلت: "هيَّا قومي، وسأرقص معك على الحائط، أنا الآن مُهَيَّأ".

نظرتْ في عيني وأغمضتْ عينيها وقالت: "بعد قليل يؤذن الفجر". قلت: "نرقص بعد الآذان". قالت: "سيكون العَالَم قد تغيَّر، إن أنفاس الكون التي قبل الفجر لا يمكن تعويضها، والآن إذا جاءتك الموسيقى مَرَّة أخرى فلا تتردَّد وسِر على الحوائط وفوق الهواء، صدقني ستسمو روحك ولكن الشَّرط أن يرقص معك شخص

يستيقظ في نفس الوقت، ويسمع نفس الموسيقى، فإذا جاءك هذا الشَّخص فلَيْتَه لا يتركك مثلما فعلتَ معي". قلت: أنتِ بخير". قالت: "لو كنتَ رقصتَ معي، كانت أرواحنا ارتقتْ بعيدًا، بعيدًا، ولكنك لم تفهم".

وحين أَطَلَّ الفجر، كان المؤذن ناعمًا رقيقًا، صوته كموسيقى الرُّوح وبدأتْ هي تختفي رويدًا رويدًا كدخان سيجارة.

رُوح السُّكَّر

وطلـبَ مني أن أُلقـي قطعـة اللِبَـان المُغَلَّفـة لأعلى، نظـرتُ لـه وابتسـمت، فَرَجَانِي قـائلاً: "والنَّبي يـا عـم". وامتلأتْ مشـاعره برغبـة صادقة أن أفعل ما يريد، نظرتُ حيث أراد أن أُلقي اللِبَانة المُغَلَّفة، كانت هناك فتاة في نفس عمره تقف في الشُرْفَة، في الدور الأول؛ تبص عليه من وراء حِبال الغسيل، أمسكتُ اللِبَانة المُغَلَّفة من يده فابتسم ابتسامة قذفتْ في روحي سعادة لم أشعر بها أبدًا وشعرتُ أنه سيطير من الفرح، وجدته ينظر إليها بشغف رائع وتَذَكَّرتُ – حين كنت عند أول الشَّارع – أنَّه كان يُحَاوِل أن يُلقي اللِبَانة للشُرْفَة لكنها كانت ترتد له مَرَّة أخرى فلم ييأس، وظَلَّ يلقيها والبنت تُحَاوِل أن تلتقطها بطرف أصابعها، لكنها كانت ترتد مَرَّة أخرى.

دقَّقتُ البصر في عين الفتاة، فرأيتُ بحرًا أزرق، وسماءً رائعة، وبدا عليها أنها لم تهتم بي، وظلَّتْ تنظر للفتي وتبتسم.. رفعتُ يدي، وبكل قوتي رميتُ اللِبَانة لأعلى كي تَدْخُل في شُرْفَة الفتاة فارتَدَّتْ لي، نظرتُ للفتي، كانت ابتسامته نَشْوَانة حين قذفتُ اللِبَانة واختفتْ فجأة حين ارتَدَّت،

تَـرَدَّدَتْ عيني بينهمـا ورأيـتُ حزنًـا شـفيفًا كَسَـا ملامحهمـا فقـال: "ارفعني يا عم لأعطيها اللِبَانة".

حين أمسكته من وسطه ورفعته لأعلى، رأيتُ دمعة في عينيها تكاد تقفز على خدي ومدَّتْ يدها لتأخذ اللِبَانة، لكن المسافة بينهما كانت نصف متر، شَبَّ الفتى ومَطَّ كل جسده ليصل لأعلى حَتَّى تَحَوَّل في يدي لوتر مشدود والفتاة انحنتْ وكدتُ أظن أنها ستسقط على الفتى، فَوَضَعْتُه على الأرض فقال: "سأحاول". قلت: "لا". وأمسكتُ اللِبَانة وقذفتها بشدَّة فطارت بعيدًا وسقطتْ على الأرض.

تركتهما ومشيتُ خطوات، فنظر لي الفتى بحزن شَقَّ روحي فابتعدتُ وتركته يمسك باللِبَانة ويقذفها فتعود، يقذفها فتعود.

أشارتْ الفتاة له فانتظر، حين دخلتْ، تصلَّبتُ مكاني لأتابعهما، فأحضرتْ حبلاً ودَلَّته للفتى فأمسكه بكلتا يديه وهو يضحك كأنَّه سيصعد عليه ليصل لها، فابتسمتْ له فَرَبَطَ اللِبَانة في الحبل فسَحَبَتها ببطء.

حين وصلتْ اللِبَانة للفتاة أخْرَجَتْها من اللفافة وقضمتْ نصفها وربطتْ نصفها الآخر في الحبل ودَلَّته، فأخذها الفتى ووضعها في فمه وظلا يمضغان السُّكَّر وهما يضحكان، وشعرتُ بطعم حلاوة العَالَم تسري في روحي فمشيتُ أحرِّك لساني داخل فمي طلبًا لمزيدٍ من السُّكَّر.

رُوح الشِّكُولَاتة

وسَمِعْنَا طرقاته على الباب فقفزتْ وفتحتْ بسرعة تملؤها اللَهْفَة، لَمَّا دخل فَرِحًا مبتسمًا نظرتْ ليديه الفارغتين وصفعته بعنف الغيظ وقالت له: "لماذا تأخرتَ، أين الطَّماطم؟". دَمَعَتْ عيناه ولم يتكلم فأصابها الاحتقان وأصرَّتْ أن تعرف أين كان، فَجَرَى إليَّ وارتمى في حضني وجسده ينتفض، قلت برفق: "أين كنت كل هذا الوقت؟". لم يتكلم ونظر إليها بحزن شفيف فأصرَّتْ أنه دائمًا يلعب مع الأولاد ولا ينتبه لِمَا تطلبه، ورُبَّما أضاع النقود.. انْدَسَّ في صدري وراح ينتحب بحزن لا يراه غيره، لكنَّها بقيتْ مُتَّقِدة تُحَاوِل أن تُخَلِّصه من صدري لتضربه، قالت: "بسببه لن أطبخ اليوم". مسحتُ شعره وهمستُ في أذنه: "أين كنت؟" ففتح عينيه ورأيته يعتصر من داخله دموعًا رائقة فصرختْ: "ولد فاسد، أين الطَّماطم؟". رَبَتُ على ظهره لأهدئ نَشِيجه الحاد فَحَلَفَتْ أنه لن يأكل اليوم؛ عقابًا له.

أخذتُه ودخلتُ به غرفة أخرى وتركتها تسب وتلعن، وسألتُه في رفق: "أين كنت؟" فمسح دمعاته وهَمَّ بالقول لكنها دخلتْ علينا وصاحتْ: "أنت تفسده، لن أطبخ اليوم، بل سأترك البيت". وتركتنا

ومَشَتْ لغرفة النَّوْم. قلت: "حدثني، أين كنت؟ وأين النقود؟". همس: "هل ستترك البيت حقًا؟!". قلت: "نعم، أجبني أولاً". فتركني وجرى إليها واحتضنها فنَهَرَته وقالت: "أين الطَّماطم؟".

مَسَحَ دمعاته وأخرج من جيبه قطعة شِكُولَاتة من النَّوع الذي تحبه هي جدًا جدًا، قالت لي: "أنت أفسدت الولد". وفتحتْ الدولاب وأخرجتْ ملابسها فقلتُ له: "لماذا فعلت ذلك؟". ارتمى عليها كأنّي لم أحدثه واحتضنها ونشيجه يرتفع، وقال بشجن يشوبه الفرح وهو يرفع الشِّكُولَاتة إليها: "كل سنة وأنتِ طيبة".

نظرتْ لي وسقطتْ من عينيها دمعة واحتضنته بشغف وهي تقول: "عيد ميلادي!! أنا نسيته". وظلَّتْ تضمه وتُقَبِّل كل جسده وترفعه إليها وتدسُّ رأسه في صدرها وهي تردّد: "وأنت طيب، وأنت طيب". واختلطت دموعها بدموعه مع حلاوة الشِّكُولَاتة التي تحبها هي جدًا جدًا.

دِفْء يَنَايِر

إنَّه الأحد الأول من يناير القارس وشارع صفية زغلول مُضَاء بأعمدة الإنارة وجميع المحلات مغلقة والسَّمَاء تُمْطِر بشدَّة، ولأنَّ الوقت قارب على دخول الفجر؛ لَمْ أتوقع أن يسير أحد في منتصف الطَّرِيق غير عابئ بالمطر والبرودة ونَدف الثَّلج الذي بدأ ينهمر.

في السَّبعين من عمرها، قَرَّرتْ ذلك الآن وارتدتْ معطفها الثقيل وأخذتْ مظلتها ونزلتْ وحيدة؛ لتَشُم رائحة العَالَم قبل أن يَشُمَّه أحد غيرها، حين نزلتْ كان الجو صحوًا والقمر رائعًا، تغطيه بعض السُّحب على استحياء، تركتْ مظلتها جانب الطَّرِيق وابتسمتْ.. ما هذه الخِفَّة التي دخلتْ روحها فقرَّرتْ أن تترك سريرها الدَّافئ وتواجه العَالَم وحيدة؟! ضَمَّتْ معطفها فوق جسدها وتدفأتْ ونظرتْ بعيدًا حيث الْبَحْر يواجهها تمامًا، قرَّرتْ أن تترك السَّير على الرَّصيف الآمن وتسير في منتصف الطَّرِيق وضحكتْ كما لم تضحك من قبل.

خمسون عامًا مَرَّت وداخلها رغبة أن تنطلق وتسير في منتصف الطَّرِيق في هذا الوقت، لكنها كانت تتردَّد، وبسبب هذا التردُّد فَقَدَتْ أروع دِفْء لرجل لا يعرفها، هَمَسَ لها يومًا ما وهي داخل الترام: "أريد أن أقابلك اليوم، قبل الفجر مباشرة في شارع صفية زغلول". نظرتْ له باستغراب وكانت رصاصات المطر تصطدم بالترام قال: "فقط سنمشي سويًا في منتصف الطَّرِيق ونشعر بالدِّفْء". حين ترك الترام ونزل انطبعتْ كلماته في عمق روحها، وبقيتْ طوال الليل لا تستطيع النَّوْم حَتَّى أطلَّ الفجر وجاء المطر فلم تنزل له، وبحثتْ عنه في الظهيرة داخل الترام، لكنه لم يأت.

بدأتْ تُمطر فنظرتْ لمظلتها المركونة على الحائط، وخلعتْ معطفها وألقته في عرض الطَّرِيق، وبان أنَّها ترتدي فستانًا صيفيًا، مطبوع عليه زهور الفُل الرَّائقة، وفتحتْ ذراعيها تستقبل المطر.

في الليل، وقبل الفجر بقليل، تراودها دائمًا الرَّغبة في النُّزول لتتحقَّق من قول الرَّجل، إذ كيف ستشعر بالدِّفْء مع أنَّها تمطر، وتُقَرِّر في النِّهاية أن تَدْفِس رأسها تحت الوسادة وتظل ترتعد من المطر والصَّقيع في منتصف يناير، وتتساءل كيف كنت سأشعر بالدِفْء معه؟! وتنكمش تحت الغطاء وهي ترتجف.

لمَّا سَقَطَ المطر حنونًا على وجهها؛ ألقتْ الإيشارب في الفضاء، فطار كحَمَامة خضراء، وظَلَّتْ تتابعه حَتَّى عَلَقَ بسلك الكهرباء ورَفَّ في

الهواء، فمسحتْ رَذَاذ المطر وفتحتْ جزءًا من صدرها، فبان صدرًا حليبيًّا تنبض عروقه وسمحتْ للمطر أن يدخل.

يناير يناير يناير يناير هو الموعد الذي ظَلَّتْ تنتظره أبدًا، طوال الشَّهر تركب الترام وتبحث عن الرَّجل الذي لا تستطيع أن تنسى ملامحه وكلماته تتردَّد داخلها "فقط سنمشي سويًا في منتصف الطَّرِيق ونشعر بالدِّفْء" تبقى مستيقظة حَتَّى الفجر، وحين يسكن المطر تنام.

نظرتْ بعيدًا فرأته قادمًا يرتدي قميصًا صيفيًّا بلون الفُل وبنطلونًا سماويًّا بلون المطر، فاتحًا صدره لندف الثلج كي تدخل وتستقر فوق شعر صدره.

انطلقتْ نحوه وكان قادمًا إليها يغلفهما المطر وبدأت السَّمَاء تَرْعَد، وَجَدَتْ نفسها تتخلَّص من حذائها وتسير حافية في المطر؛ فشعرتْ بطراوة الْمَاء تغسل باطن رجليها وتسري داخل روحها، ظَلَّتْ تجري نحوه وشعرتْ أن الدِّفْء يغمرها وأن قطرات عرق بدأت تنز من جلدها، اختلطت برطوبة المطر فاقشعرّتْ وبدأتْ تشعر بحرارة الدَّم تنطلق من عروقها، فتقدَّمتْ نحوه أكثر ولعقتْ بطرف لسانها قطرة ماء.

كاد الفجر أن يأتي وصار للمطر طعم الدِّفْء وبدأت تشعر بالحرارة تسري في جسدها كله، خلعتْ فستانها وأطلقته للمطر وسارتْ نحوه بقميص نوم بنفسجي وهو خلع قميصه وصار نصفه عاريًا،

وهي تتجه نحوه بكل روحها مملوءة بالدِّفْء، ولم تشعر أن بلل الْبَحْر مَسَّ قدميها، وظلَّت تدخل في الْبَحْر مبتسمة رائقة راغبة أن تصل إليه وتمسح عن صدره ندف الثَّلج وتتأبط ذراعه وتسير معه عائدة في شارع صفية زغلول حيث لن تحتاج لمظلة ولا لمعطف، فالدِّفْء يحتويها الآن في الأحد الأول من يناير.

فَرَح الرُّوح

بنطلونان أسودان، وشَعْر حُر منطلق على رَاحة الظهر، وبلوزتان خضراوان بلون الزَّرع الضَّاج، وجيتاران فضيان مُعَلَّقَان برشاقة على كتفيهما الصَّغيرين، وحذاءان يلامسان الأرض في خِفَّة.. لَمَّا لَمَست أصابعهما الوَتَر ارتجفتْ الأرض ونَبَضَ قلب الطَّرِيق ثُمَّ بدأتا عزفًا هادئًا بسيطًا وناعمًا يحمل وَنَسَة القلب ثُمَّ تحركتا سويًا كحَمَامتين، فابتسم كل المكدودين في انتظار الميكروباص، وغزتهم نشوة أن يبقوا هكذا في رحاب هذا اللُطف السَّماوي، وتمنَّوا أن لا يأتي الميكروباص.

أمام مقهى شكري بسيدي جابر، يقف النَّاس في انتظار الميكروباص، جاءت فتاتان لطيفتان كنسمة هواء، ملأني لطفهما وجعلتْ خِفَّة روحيهما هذا التَّجمع الخانق مبتهجًا ناعمًا كورقة ورد نَدِيَّة، وجدنا أنفسنا نتجمَّع حولهما، وأصابتنا النَّشوة والفرح وشَعَّتْ من روحيهما طراوة أَنْسَتْنَا كتمة الزِّحام.

وكأنَّ بائع المياه الغازية ارتجف مع نَبْض الأرض حين سَمِعَ وتر الجيتار؛ فجاءنا يحمل العُلب المعدنيَّة المُثَلَّجة، وراح فَرِحًا يوزعها

على الواقفين جميعًا، وحين فتحنا العُلب المعدنيَّة سويًا في وقت واحد، اختلط ضحكنا بصوت الكون، ولَعَقْنَا طراوة كنا في حاجة إليها، وبدأ العزف يدخل أرواحنا فَطِرْنَا وسبحنا وغنينا وكادت أجسادنا ترقص، وبقينا في الهواء مع الحَمَام والعصافير نُغَرِّد ونزقزق.

حين توقفَ الميكروباص أمامنا فجأة ولم نلحظ مجيئه، فَسَخَ الدَّائِرة حَوْل الفتاتين وتوقفنا جميعًا في انتظار أن تركب الفتاتان أولاً، لكنهما رفضتا بشدَّة جميلة وبدأ النَّاس في الرُّكوب، وبقي مقعد وحيد، فأراد شاب أن ينزل لتركب الفتاتان فرفضتا برفق وجلستا على المقعد الوحيد إحداهما فوق فخذ الأخرى ووراءي تمامًا.

الميكروباص ممتلئ بالمرايا، والكاسيت تضج سمَّاعاته في كل الأركان بالموسيقى، وسادت حالة انشراح حين بدأت الفتاتان تتحدثان على أنغام الموسيقى بروح يملؤها الضَّحك والفرح.

نستمع لضحكاتهما فيدخل فرحهما في عروقنا وخلايانا وجذور أعصابنا فننشرح، استمتعتُ بالنظر لوجههما السَّماوي، إذ إنِّي رأيتُ مرآة تطل عليهما فرحتُ أَتَمَعَّنُ في هذا السِّحر الهادئ النَّاعم الضَّاحك الهارب من نعومة السَّمَاء وتَمَنَّيْتُ أن لا ينتهي الطَّرِيق.

انطلق السَّائق في طريق الكورنيش ودخل الهواء النَّاعس الميكروباص واختلط بضحك الفتاتين وشَعَّتْ حالة من الرِّضا

غمرتنا ووجدنا السَّائق يَتَرَنَّم مع الكاسيت فضحكنا وتَرَنَّمنا معه وصرنا في فرح.

أنا لا أحرك عيني عن المرآة كي لا أفقد لحظة المتعة السَّماوية التي منحها لي الرَّحمن.. ارتجَّ الميكروباص فلمس رأسي كتف فتاة منهما، أَحْسَسْتُ بنعومة فَرَّت من رحم النَّعيم وتَمَنَّيْتُ أن أريح رأسي على كتفها، لكني خشيتُ أن أجرح مشاعرها وكانت بي رغبة طاغية أن أرتاح.

حين صفقنا مع الأغنية وبدأنا في الغناء؛ انتشرتْ حالة الفرح وشمل الغناء جدران الميكروباص، فدخل الهواء عبقًا بروح اليود وانطلق السَّائق وسط طراوة الرَّذَاذ وراحة النسمة.

أنا الوحيد الذي لمستُ كتفها، والآن طار شعرها ولمس جلد وجهي وغطَّاني فَتَشَمَّمْتُ روح العِطْر وخلاصة النَّشوة وذُبتُ في عبق الياسمين ووجدتني أرفع يدي للسماء وأمسح وجهي المغطَّى بالشَّعْر النَّاعم المُنَدَّى بالفواكه.

نعم، أنا لمستُ شعرها، ومسحتُ به روح وجهي، والميكروباص ظل منطلقًا يملأه الغناء والفرح والطَّراوة وتأكدت أنِّي أطير مع شعرها الحرير الذي انسحب قليلاً قليلاً من تحت أصابعي وحين قالتا: "قف". ونزلتا من الميكروباص غَادَرَتْه الطَّراوة والنَّدَى وأوقف السَّائق الأغاني وحَطَّ على الجميع سكون وهُمْ ينظرون جميعًا في اتجاههما وهما تسيران مبتعدتين تلوحان لنا وتبتسمان، وبدأ

شعور بالفراغ يغزونا جميعًا، ودخل الصَّهد الشَّبابيك، غير أنّي حين نزلتُ من الميكروباص وجدتُ شَعْرَة سمراء تداعب خدي، فأخذتها واحتفظتُ بها لتعطيني شَذَى النَّدَى وطراوة الرُّوح حين تغزوني الكآبة.

رُوح الشَّمْس

منتصف سبتمبر، التَّاسعة صباحًا، رنَّ المُنَبِّه فانتهتُ وكدتُ أغطس في الحُلم مَرَّة أخرى فلمستْ جبيني وقالت: "اليوم منتصف سبتمبر". حين قَبَلَتْنِي استيقظ صغيرنا ودخل بين صدري وصدرها وراح يداعبنا.

عندما ارتدينا ملابس الْبَحْر دخل شعاع الشَّمْس من الشُّبَّاك المفتوح في قلب الصَّالة، فَفَرَدتْ الملاءة على الأرض وأخرجتْ كيس رمل نَثَرَتْه على الملاءة، تحت أشعة الشَّمْس التي تغمر صالتنا في هذا اليوم من كل عام، أنا ذهبتُ وشغَّلتُ المروحة ووضعتُ أمامها طبق ماء بارد وجلسنا على الرِّمَال نستقبل الشَّمْس ونفتح لها مسامنا، وهواء المروحة يُمطرنا برَذَاذ لطيف.

أرتشفُ قهوتي وتشربْ الشاي بالحليب، وصغيرنا يضع كوب الحليب الصَّافي على فمه بهدوء ويتجرَّع نعمة الحياة، حين تزداد حرارة الشَّمْس قليلاً؛ أقوم وأزيد سرعة المروحة وأُشَغِّل الكاسيت على أغنية عبد الحليم وأعود مطمئنًا للرمال، أفردُ ظهري وأنظر بعيدًا فأرى زُرْقة السَّمَاء تنساب داخلي قطرة قطرة، وتغطيني

أشعة الشَّمْس والرَّذَاذ الطَّري، فَيُغَلِّفني النُّعاس الهادئ وأسبح في نعمة الرَّبّ، وأرى الخَدَر يدخل روحها وتنهمر السَّكِينة داخل تفاصيل صغيرنا ويحتوينا النُّعاس الجميل.

تأتي بالفُشار والسُّوداني، فيفرح صغيرنا ويضع في فمينا، ويأكل بانشراح ويرمي علينا ما في يده فأحتضنه وأُقَبِّلَه فتأخذه مني وتعضه بحنان فيصرخ بدلال ويدسّ السُّوداني في أذني ويقهقه.

ثلاثتنا فوق الرِّمَال، نمتص الشَّمْس والنَّدى وطراوة الهواء، غطاؤنا الرَّذَاذ، وأرواحنا في راحة والغفوة تسيطر على خَدَر أعصابنا.

حين فتحتُ عيني رأيتُ الشَّمْس قد انسحبتْ وصارتْ تغطي جزءًا بسيطًا من الرِّمَال، فسحبتُ جسدي بهدوء ورحتُ للشمس؛ فقد كان النُّعاس يُغلف روحها وروحه، لكنني لمحتُ رَجْفَة شفتيها حين سقطتْ ذَرة ماء فوق شفتها السُّفلي فأردتُ أنْ ألعقها فاستيقظتْ ووجدتْ نفسها في الظِّل واستيقظ الصَّغير.

بسرعة، ارتمتْ فوقي لتأخذ الشَّمْس وأنا ضحكتُ حين ارتمى صغيرنا فوقها ليأخذ رُوح الشَّمْس وقهقهنا، أنا أحاول أنْ أهزهما حَتَّى يسقطا على الرِّمَال لكنهما تشبثا بي وزاد الضَّحك.

ثلاثتنا في خط واحد تحت خيط الشَّمْس الحنون، هي فوقي وهو فوقها وأنا أهتز تحتهما متماوجًا في استمتاع بخيط الشَّمْس ورَذَاذ الْمَاء وغمرتنا سعادة مملوءة بالطَّراوة حَتَّى انسحبتْ الشَّمْس تماماً

من الشُّبَّاك، فانزلقتْ من فوقي واستلقتْ بصغيرنا على الرِّمَال وراحت أنفاسنا تتسارع من البهجة.

حين بدأ الرَّذَاذ يغطينا ببرد خفيف، قمنا وأغلقنا الشُّبَّاك ولملمنا بقايا الفُشار والسُّوداني وارتدينا ملابسنا وسرنا متلاصقين نحو الحَمَّام في انتظار سبتمبر القادم.

بَحْر النُّور

لا ترتدي شيئًا سوى قطرات من نَدَى الصُّبح تهبط على جسدها وتنحدر على سلسلة ظهرها وهي تسير أمامي، أنظرُ لكعبها العاري الوردي الفضي فأرى قطرات صافية من دُرَر عَرَقها ورائحة الصُّبح تتقاطر على الرَّصيف، أقتربُ وأشم رائحة العِنَبر من مكان خَطوها المضيء وأتابعها بتَولُّه، تبدو رقراقة أمامي فلا أستطيع أن أُحَوِّل بصري عن هذا العُري الخارج توًا من جَنَّة العِطْر.

أنا مملوء بالضيق ويختم على صدري جبل ثقيل، تركتُ فراشي ونهضت، قرَّرتُ أن أُدَخِّن سيجارة ملغومة بالحشيش، لكن رغبتي في صلاة شفَّافة كانت أقوى؛ فدخلتُ الحَمَّام وتركتُ همومي مع قطرات الْمَاء المتساقطة من وجهي وصليتُ الفجر فانشرح صدري، وأَحْسَسْتُ برغبة أن ألقي جسدي في الْبَحْر، لكن السَّمَاء كانت تقطر رَذَاذًا لذيذًا فقرَّرتُ أن أنزل وأشم رُوح العَالَم وحدي.

تسير أمامي طيفًا دُرِّيًّا، وروحًا وعِطْرًا عُلويًا مُصَفَّي، تضيء فأعيش خلفها مفتونًا مسحورًا ببهائها، وأرى الهواء يدخل رئتيها ويخرج، فقد بان نخاع عظامها وبَدَتْ شفَّافة كضوء صَاف، مالتْ خطوة

فانشقَّتْ روحي مع تموجها السَّاحر، ورأيتُ خطواتها تترك قطرات نور على رصيف الشَّارع، فألمس بلورًا ولؤلؤًا سقط من أطرافها رَذَاذًا على الأرض.

هكذا فجأة، وجدتها أمامي تسير عارية كما خلقها الرَّحمن، فقلتُ أنا لم أُدَخن حشيشة فكيف ظهرتْ لي؟! نظرتُ حولي فلم أجد سوانا، فقرَّرتُ أن أتابعها وهي تتثنَّى أمامي حَتَّى نهاية العَالَم، إذ إنِّي لم أشعر طوال عمري بخَدَر يحتويني في قلب نور حي كهذا.

نور، نور، نور، تتركه وراءها حين تخطو كطيف.. خطوها نوراني مغموس في ضوء أبيض، حين تسير بتمهل تترك طيفًا آخر فأتابعها ولا أحصي عدد أطيافها، إذ بدت لي عشرات من كائن شفَّاف خاص، أقتربُ منها فَيَدْخُلني طيفها ويلمسني كقطرة ماء، وأظل هكذا سائرًا وراءها تَدْخُلُني أطيافها واحدًا واحدًا حَتَّى امتلأتُ بالنُّور.

حين توقفتْ عند السُّلَّم المسنود على الحائط دَخَلَنِي السُّرور وقلتُ سأكلمها الآن، وتقدَّمتُ ناحيتها فَصَعَدَتْ السُّلَّم ووصلتْ حَتَّى نهاية السُّور ووقفتْ تنظر بعيدًا ولم تلتفتْ لي، ثوان قليلة وآآآآه، قفزتْ واختفتْ وراء السُّور.

انسحبتْ روحي وضاع النُّور من كياني وامتلأتُ بالفراغ والسَّواد وكدتُ أشهق ورأيت العَالَم ينهار من تحتي ولَمَعَتْ في عيني ظُلْمَة الفراغ وبحثتُ في جيبي عن حشيشة فلم أجد فكدتُ أسجد

وأصلي، لكن صرخة نَدَّتْ من روحي، آآآآآآه، مِلْء العَالَم والفراغ والسَّواد والوحدة.

وَجَدْتُنِي وحيدًا أنظر للسُلَّم ولا أراها، فانْخَلَعَ فؤادي وصعدتُ درجة درجة حَتَّى وصلتُ لنهاية السُلَّم ووقفتُ على السُّور.

يا الله، من أين جاءت كل تلك الجميلات يَسْبَحن في النُّور، ويتضاحكن، ويلعبن، ويغطسن حولها كنَجْمَة وسط عقد من اللؤلؤ المنير؟! ثُمَّ إنها أشارت لي من بينهن وابتسمتْ فضجتْ روحي بالفرحة وأشرتُ لصدري: أنا أنا؟! فعامتْ في النُّور وابتعدتْ، قلت: "انتظري". فرأيتُ الجميلات ينطلقن وراءها.

قفزتُ في بَحْر النُّور ورحتُ أعوم في النُّور وبدأت روحي تَشِف وشعرتُ بأني أصبحتُ عاريًا نورانيًا ممتلئًا برائحة العِنَبر، فظللتُ وراءها أَسْبَح في النُّور، أَسْبَح، أَسْبَح، أَسْبَح.

سَحَابة عِطْر

تجلسُ في قلب البستان على مقعد رخامي يبرق من نداوة الصَّباح، لأن قميصها هفهف فقد بَدَتْ قدماها عاريتين تَدْخُلهما الحُمْرة وتغوصان في نبات الأرض الأخضر الطَّري.

السَّاعة الآن الخامسة فجرًا، ولم يظهر سوى خيط نور قادم من رحم الكون، سَطَعَ على وجهها فانكسر داخل احمرار قميص نومها المكوي برائحة الحياة.

أخذتْ شهيقًا، وحين زَفَرَتْ خرج عِطْر وضحك الصُّبح وتلألأ قميصها الأحمر وبان أنها لا ترتدي حمَّالة الصَّدر، فضجَّ البياض وكاد الكون أن يزغرد، لكنه استحيا فالوقت بعد الفجر بقليل والنُّعومة واجبة.

حين تجلس تضع يديها تحت صدرها، فينفلتُ نور من الشِّق وتهرب العَتْمة، ثُمَّ إن الأشجار تنهر وتهتز وتتفتَّح الزُّهور.

تضع جانبها طبقًا فارغًا بلون الكريستال وتغمض عينيها، عندما تفعل ذلك ينكسر ضوء الكون الخفيف وتبدأ البنفسجية، إذ الكون كله يصبح في لحظة إغماضها بنفسجيًا مملوءًا بالشَّاعرية، الأشجار، والأزهار، وحشائش الأرض، والرُّخام ويبقى قميصها أحمر تدخله البنفسجية، ويظل نور جسدها يبخ سحرًا وعِطْرًا وكأنَّ الكون سحابة عِطْر.

لمَّا يَتَحَوَّل الكون لطعم البنفسجية، يأتي عابر سبيل يَمُرُّ بالبستان، يقف أمامها لحظة، يضم قدميه ويستوي مشدودًا برفق كأنَّه يصلي، واضعًا يده في جيبه ويُخرج جوهرة يَحُطُّها في الطَّبَق ثُمَّ يجلس جانبها صامتًا واضعًا يده على صدره مثلها تمامًا ويغمض عينيه.

حين تفتح عينيها تنهض ونور قدميها يغوص في رطوبة الخُضرة ثُمَّ إنَّها تفك يديها من على صدرها وتُحَرِّر نهديها فيهتزان برقَّة، تُمسِك الطَّبَق وتأخذ الجوهرة وتُقَبِّلها ثُمَّ تمررها بين نهديها فتشرب الجوهرة عِطْر النَّهد وتضم يدها وتفتحها فيخرج طائر بنفسجي ويطير، يطير.

تقترب من الجالس وتُقَبِّله بين عينيه قُبْلة رقيقة، فيهتز جسده وتظهر بشائر النُّور على روحه، ويبدأ في الإضاءة وترتجف شفتاه فَتُقَبِّله حَتَّى يهدأ وتبدأ بنفسجية الكون في التَحَوُّل، ويصير الكون أزرق شفافًا سماويًا ويسكن الشَّجر ويبقى قميصها الأحمر مُزهرًا كأنَّه نسمة هواء أتت من قلب السَّحاب، فيرتفع ذيل القميص قليلاً، قليلاً، ويطير حاملاً ثديًا نورانيًا وجسدًا بطعم نداوة البنفسجية المخلوطة بزرقة الرُّوح حَتَّى تختفي في ثنايا النُّور.

يبدأ الضَّوْء في المجيء، ويظهر الشَّجر بلونه البني وأوراقه الخضراء، ويصير المقعد رخامًا خالصًا خاليًا من روح طراوة النَّدى، تدخل امرأة الحديقة وتجلس على المقعد الرُّخامي بجانب تمثال الرَّجل الذي تملؤه السَّماحة، ثُمَّ تقوم وتمسح شعره الرُّخام بحنان ودِفْء، وترحل بردائها الأحمر الذي انعكس على تمثال الرَّجل فصار بلون الشفق.

دِفْء السَّمَاء

مَائِدة السَّمَاء

حين غَزَاني الجوع دخلتُ مطعم الأسماك فَشَدَّني مقعد موضوع عليه صورة كبيرة، امتلأتُ رغبة أن أجلس إلى هذه المِنْضَدة؛ حيث إنها كانت الوحيدة التي بها مقعد وحيد عالٍ جدًا ولونها مغاير لكل المناضد.

شعرتُ أن عيونًا تَتَرَصَّدني وبدأت حركة قلقة حولي، إذ إنّي لاحظت أن الرَّجل الجالس وراء المكتب والذي يبدو أنَّه صاحب المطعم انتفض وترك الشِّيشة من يده وخطا نحوي بسرعة.

حين مَدَدْتُ يدي لأرفع الصُّورة لأضعها على الأرض وأجلس، كلبشتْ أصابع الرَّجل يدي وقال بحسم: "لا، محجوز". ابتسمتُ وقلت: "يمكنه أن يجلس إلى مِنْضَدة أخرى حين يجيء". قال: "لا، هذا مكانه".

مِلتُ بوجهي لأرى الصُّورة فوجدته المسيح فابتسمتُ وقلت للرجل: "متى سيأتي؟!". قال بِجِدّ صارم: "هو يتناول غذاءه يوميًا على هذا المقعد وهو الذي يحدِّد موعد مجيئه". قلت: "أنا أعرفه". قال: "إِذَنْ، أترك المِنْضَدة".

رفعتُ يدي من فوق الصُّورة وتأخرتُ خطوة فانحنى الرَّجل قليلاً واعتذر للصورة وذهبتْ تشنجات وجهه وأجلسني على مائدة مواجهة للمسيح، ولاحظتُ أن كل رواد المطعم يعرفون أن هذا المقعد محجوز، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه.

جلستُ لآكل طعامي وعيني لم تتحرَّك عن الصُّورة، انتابتني رِعْدَة حين رأيته قادمًا من بعيد، حين رآه الرَّجل طَفَت على وجهه فرحة طفولة العَالَم وجرى إليه وقَبَّله ووضع الصُّورة جانبًا وظَلَّ يضع له أطباق السَّمك بنفسه والمسيح يبتسم.

ذهبتُ لأدفع حسابي فرفض الرَّجل بشدَّة وقال: "هو دَفَعَ الحساب". كدتُ أُصِر على دَفْع حسابي، لكن ابتسامة المسيح جعلتني أضع النقود في جيبي وخرجتُ على استحياء وأنا أتأمله وهو يأكل بهدوء الملائكة.

حَلِيب الرَّبّ

ذات يـوم أصـابني الرَّمـد، كنـتُ نائمًـا علي السَّـرير فسـمعتُ أمـي تتحدَّث مع أم روماني من النَّافذة وقلبها يقطر حزنًا، حَكَتْ لها أمي عن عيني، وبكتْ، انتفضتْ أم روماني وأشارتْ لأمي أنها قادمة.

طرقـتْ البـاب وأخـذتني في حضـنها ومسـحتْ بنعومـة علي عيني وشـعري وكل جسـدي وأخـذتْ تُـرَدِّد آيـات مـن الإنجيـل، وأمي تنظـر وعينهـا مليئـة بالـدَّمع، طلبـتْ أم رومـاني مـاءً دافئًـا وخِرْقَـة نظيفـة، جاءت بهما أمي وظلَّت أم روماني تمسح علي عيني بالْمَاء الدافئ حَتَّى أصابني النُّعاس.

سـمعتها مـن قلـب نـومي الـدافئ وهي تهمـس لأمي تطلـبُ فنجانًـا مـن القهـوة، فتركتني أمي نائمًـا علي رِجْـل أم رومـاني وكـدتُ أفـتح عيني بصعوبة فمسحتْ عيني برفق فنعسـتُ ورأيتها تُخرج ثديها الأبيض الشَّـمعي الجميل وهي تُـرَدِّد: "الله الشـافي، الله الشـافي". فَتَحَتْ عيني برفـق وقطـرتْ قطـرات لـبن دافئ داخـل عيني، وحـين شَـمَّتْ رائحـة القهـوة قادمـة؛ أدخلـتْ ثـديها ومسـحتْ خـيط اللـبن السَّـائل علي خـدي وهمسـتْ في أذني: "هـذا حَلِيـب الـرَّبّ، وهـذا سِـر، ثِـق، لـن تصاب بالرَّمد مَرَّة أخرى".

دخلتْ أمي وأعطتها القهوة، قالت أم روماني وهي تضعني علي رِجْل أمي: "الله حارس". ثُمَّ رَشَفَتْ القهوة فانْفَتَحَتْ عيني وابتسمتْ أمي وقَبَّلتْ أم روماني، وأنا ظللت أنظر لثدي أم روماني؛ أبحثُ عن البياض السَّماوي الجميل، فتهمس لي دون أن تسمع أمي: "هذا سِر".

طَبَق المَحَبَّة

أم روماني تُحِب أمي وأنا أحب روماني، أذهب إليهم كل أحد، بعد أن يعودوا من الكنيسة يحملون خبزًا طازجًا له رائحة الجَنَّة وطَعْمًا يُشبه لحم المسيح الحلو، آكله وأستمتع وأرى عين أم روماني تبتسم لي وتحكي لي عن مائدة السَّمَاء ودَم المسيح، فنذهب أنا وروماني نلعب في الشَّارع بِحُرِّيَّة تشبه صعود المسيح إلى السَّمَاء وانطلاقه عند الله حَيًّا.

روماني يأتي إلينا يوم الجمعة، يأكل طعام أمي بلذَّة، يقضم الخبز ويقول: "هل هذا خبز النَّبِي؟". فتحكي أمي عن صيام الرَّسول وطعامه البسيط، وتضع أمام روماني فاكهة التين والعِنَب، وتقول: "إنَّ الله ذكرهما في القرآن". فيضع روماني حَبَّة تين كاملة في فمه ويقول: "تين الرَّبّ وعنب الرَّبّ". تبتسم أمي وتفتح المصحف فنجلس جانبها نستمع لصوتها الحنون ويُرَدِّد روماني مثل نغم أمي وكله خشوع.

سألتُ أمي عن الطَّبَق الأبيض الجميل النَّظيف الصَّافي بلا عكارة والموضوع دائمًا على المِنْضَدة، فقالت أمي إنَّه لأم روماني، وأنَّ

الكعك الذي أكلته أنا اليوم هدية من أم روماني، وكان كعكًا لذيذًا جدًا ويشبه لحم المسيح.

حين رأيت نفس الطَّبَق عند أم روماني نظيفًا ومُغَطًّى ورأتني أنظر إليه، قالت: "هذا طَبَق المَحَبَّة، بيني وبين أمك، أنا أرسلُ لها فيه ما أحبه من أطعمة وهي تُرسل لي فيه ما تحبه، أنا لا آكل طعامًا لذيذًا إلا إذا أكلتْ منه أمك".

وأنا أُطِل من النَّافذة، وكان يفصل بين بيتنا وبيت أم روماني جدارٌ وحيدٌ بمساحة طوبة كبيرة، أعطتني أمي الطَّبَق المُغطَّى مليئًا بحلوى مولد النَّبي وقالت: "أعطه لأم روماني". ناديت على أم روماني فظهر روماني مبتسمًا وأخذ الطَّبَق من يدي ودخل، وقبل أن أتحرَّك من النَّافذة، ظهر روماني مَرَّة أخرى وأعطاني نفس الطَّبَق المُغَطَّى فاتفقنا أن ننزل ونلعب في الشَّارع.

خشيتُ أن أكشف ما في الطَّبَق فدخلتُ لأمي مسرعًا، فأعطتني قطع البسكويت الطَّازجة من قلب الطَّبَق، فتذوقتها وكانت حلوة، ودَسَّتْ في جيبي قطعتان من حلوى مولد النَّبي.

حين رأيتُ روماني أعطيته قطعة الْحَلْوَى فأعطاني البسكويت اللذيذ، ومشينا نأكل في سعادة وهو يتلذَّذ ويقول: "حلاوة النَّبي". وأنا أردِّد: "بسكويت المسيح". وأنا أترنَّم وهو يردِّد آيات من القرآن.

في الفصل، جاء مفتش اللغة العربية وسأل عن آية في المنهج وسأل عمن يحفظها.. سكتنا جميعا حَتَّى أُصِيبت الأستاذة بالوجوم

والرعْدة، مَرَّ المفتش وهو يردِّد: "القرآن، ألا يحفظ أحد".. وظل يردِّد القرآن، القرآن، فرفع روماني يده فكتمنا جميعًا ضحكنا، ونظرتْ الأستاذة لروماني تدعوه بنظرة شديدة لأن يسكت، لكنه ظَلَّ رافعًا يده حَتَّى رآه المفتش، فطلب منه أن يردِّد ما يحفظ.

ظَلَّ روماني يردِّد القرآن بصوت متناغم حَسَّاس يشبه صوت أمي، فاحتضنه المفتش ورفع صوته: "بارك الله فيك". وخرج، فاتجهتْ إليه الأستاذة فانكمش روماني، لكنها أخذته في حضنها وطبطبت عليه والتففنا جميعًا حَوْله وهو يردَّد آيات القرآن بصوت عذب رقيق خارج من قلب المسيح.

خَمْس رِيشَات

كنا خمسة: أنا ورومانى وفَاطِمَة والسيد وطارق، نعود من المدرسة كل يوم سويًا، نسير في الطَّرِيق أيادينا متعانقة، لا يستطيع أن يفصل بين اتحاد أصابعنا شيء حَتَّى عامود الإنارة، نَلِفُّ حَوْله ولا ندعه يفرق بيننا.. الولد حسام البارد الذي يتعمَّد أن يَمر من بيننا، فنرفع أيدينا فيسير من تحت أيدينا ونتضاحك عليه، روماني دائمًا جانب فَاطِمَة، يده في يدها، وأنا جانبه يدي في يده وفي نفس الوقت أتشبثُ بيد طارق التي تَنِز العرق في قسوة البرد، فَاطِمَة دائمًا إلى يسارنا جميعًا ويدها الصَّغيرة في يد روماني، وأنا أشعر بدِفْء يد روماني الذي يظل طوال الطَّرِيق صامتًا ولا يتكلم إلا حين تترك فَاطِمَة يده وتدخل بيتها.

نتجمَّع عند بوابة المَدْرسة، وننطلق صفًا واحدًا بعرض الطَّرِيق، ونتضاحك على ما يحدث في الفصل خصوصًا بَطن الأستاذ عبد العزيز الذي يَتَدَلَّى من مفرق بنطلونه.

في العصر نتجمَّع فوق سطح بيت فَاطِمَة، نذاكر دروسنا ونأكل الْحَلْوَى التي تمنحها لنا أُم فَاطِمَة، فهي تحبنا جميعًا خصوصًا

روماني.. انطلق ديك من عشة فراخ أُم فَاطِمَة فقالت: "امسكوه". صنعنا من أجسادنا سَدًّا فقفز الدِّيك فوق رأسي فأمسكتُه فطار، ولم يتبقّ في يدي غير ريشة وحيدة، قالت فَاطِمَة: "ما رأيكم لو يأتي كل واحد بريشة من عشة الفراخ التي عندهم ونذهب بعد المدرسة نلقيها في التُّرْعَة؟".

وضعنا حقائبنا على حافة التُّرْعَة الممتدَّة والتي لا نعرف لها نهاية، فقط تحوي طينًا لزجًا ينبت فيه بعض الطَّحالب الخضراء وتبدو عميقة فيمكنها أن تَبْلَع رجلاً كبيرًا، وقفنا صفًا واحدًا، قال طارق: "الفائز من ستسبق ريشته ريش الآخرين". وفي توقيت واحد ألقينا ريشنا جميعًا وقلوبنا ترتجف خوفًا من عمق التُّرْعَة البعيد.

خمس ريشات تسبح جنبًا إلى جنب فوق جلد التُّرْعَة، تقاربت الرِّيشات فأصبحتْ كجناح طائر منطلق فوق سطح الْمَاء، ضحكنا وقلنا: طائر الْمَاء. قلت: "ريشتي ستسبق ريشكم جميعًا". انحنينا جميعًا وظللنا ننفخ في الهواء عسى أن يجعل كل واحد منا ريشته تَتَقَدَّم، نفخنا كل الهواء المحبوس في صدورنا وبقيتْ الرِّيشات تعوم صفًا واحدًا وكأنها تسير مثلنا، ترفض الفراق. قلت: "تقدَّمي، تقدَّمي". وأشرتُ لريشتي بكلتا يديَّ كأنّي أدفعها بقوة فوق سطح الْمَاء، فوجدوا ريشتي تتقدَّم وتسبقهم جميعًا فضربوني حَتَّى استلقيت من الفَرْحة، وقالوا وهم يضحكون: غدًا نتسابق مَرَّة أخرى.

في الغد تَصَنَّعتُ أني أهمس في قلب ريشتي، فضحكوا وألقينا الرِّيش فنظرتُ لريشتي وقلت: "اسبقي، اسبقي". فسبقتهم وضربوني على ظهري.

في اليوم الثالث همستُ لريشتي بكلام لا أعرف معناه فنظروا لي باستغراب وكانت أيديهم تَرْتَعِد، وأنا ألقي ريشتي معهم قلت بجديَّة زائدة: "اسبقيهم جميعاً، الآن". فظلَّت مكانها ولم تتحرَّك ووصل ريشهم جميعاً في وقت واحد ولم يسبق أحدهم وظلَّت ريشتي ساكنة لم تتحرَّك.

قال السيد: "لا بد أن نضع جائزة لمن تسبق ريشته اليوم". قال طارق: "نشتري له شِكُولَاتة". قال روماني: "ما رأيكم من يسبق يُقَبِّل خد فَاطِمَة". قالت فَاطِمَة: "عيب". قلنا جميعًا موافقون ورقصنا في دائرة حَتَّى قالت فَاطِمَة: "موافقة".

انتصبنا صفًا واحدًا ننظر لفَاطِمَة وهي تضربنا وتقول: "أنا سأسبق وساعتها سآخذ منكم جميعًا شِكُولَاتة". قال روماني بثقة غريبة: "أنا سأسبق وأقبِّلك". رفعنا ريشنا وذُهلنا جميعًا حين رأينا روماني يحتضن ريشته ويمسح بها صدره ويوشوش لها بتوتر ويرفعها يمينًا ويسارًا ولأعلى وأسفل ثُمَّ ألقى معنا ريشته في نفس التوقيت.

بفرح وقلق وانبهار وتَرَقُّب ورغبة في الفوز وقفنا صفًا واحدًا نتابع خمس ريشات تعوم على صفحة التُّرْعَة، نظرتُ لروماني، كان مُحْتَقِنًا يقول: "اسبقي، اسبقي". فبقيتْ الخمس ريشات تسبح في

تـواز غريـب، قـال رومـاني: "مـن أجلي، هيـا هيـا". فانطلقـتْ ريشـتي وسـبقتهم بسـنتيمترات، ضربَ قدمه في تراب الأرض وقال: "اسـبقي، اسـبقي". فتقـدَّمتْ ريشـته جانـب ريشـتي وسـبقناهم جميعًـا، ظَـلَّ محتقنًا وزاد توتره حين تقدَّمتْ ريشتي سـنتيمترات والمسـافة الباقية على نهايـة السِّـباق كانـت مترًا، فوجـدناه يصـرخ: "لالالالا". وقفـز ناحيـة الـرِّيش وأمسـك ريشـته يحـاول أنْ يـدفعها للأمـام كي تسـبق، لكنَّـه لـم يسـتطع أن يرتفـع بجسـده فَغَطَسَ وقَـبَّ والرِّيشـة في يـده يُطْبِق عليها كأنها روحـه، نظر لفَاطِمَـة وقـال: "أنـا، أنـا يـا فَاطِمَـة". وغَطَـسَ وقَـبَّ، ضـحكتْ فَاطِمَـة وهي مرعوبـة وقالـت: "اخـرج يـا روماني اخرج". غَطَسَ ولم يظهر منه غير يده المستمسكة بالرِّيشـة، ظلَّـتْ الرِّيشـة مرفوعـة لثـوانٍ وبـدأت تنسـحب لأسـفل قلـيلاً قلـيلاً لبطن التُّرْعَة وهو يهمهم: "أنا، أنا يا فَاطِمَة". ونحن واقفون ننظر في ذهـول وانطلقنـا نصـرخ في الشَّـارع: "رومـاني، رومـاني". وتركنـا خلفنـا خمس حقائب وأربع ريشات تتسابق على سطح التُّرْعَة.

رُومَاني جِرْجِس بُولِس

يلمعُ كمقدَّس، عاريًا إلا من بنطلون أزرق، يضخ جسده عرقًا كحبات البلّور، يقف أعلى السُّلَّم بعيدًا عني بمقدار عشرين درجة، إذ كنت ساعتها أقف وظهري لباب الشَّارع، وهو في الأعلى ظهره لحائط البيت، وإلى يمينه درجات السُّلَّم المؤدِّية لشقته مباشرة.

روماني صديقي، يأكل عندنا وآكل عندهم، عندما يقول: "بسم الصَّليب". أبتسم وأقول: "بسم الله". فنضحك ونتسابق في التِهَام الطَّعام وقد تأكدنا أن الشَّيطان لن يجرؤ على الاقتراب منا، ثُمَّ ننطلق سويًا للشارع نلعب الكُرَة ونعاكس البنات الحلوات فقط، وحين يأتي حسام ليلعب معنا تُصِيبنا الكآبة فننسحب أنا وروماني ونسير معًا على حافة تُرْعَة المحمودية؛ نحصي الأسماك ونقذفها بالحجارة؛ لتفزع من الصَّيَّاد الذي يشتمنا حين تبتعد الأسماك وتنطلق حُرَّة لعمق الْمَاء.

قال لي حسام: ابتعد عن روماني. فابتعدتُ عن حسام وبقيتُ أنا وروماني نمشي سويًا بجانب التُّرْعَة، أحكي له عن يوسف عليه

السلام ويحكي لي عن مريم البتول، وتظل أيدينا متشابكة، لكني لاحظت أن عَرَقًا يَنِز من باطن كفه - في يده التي رُسم فيها الصَّليب - لقلب كفي، رفعتُ يده وقلت له: "ما هذا ؟". قال: "صليب". قلت: "أعني العَرَق". قال: "أنا أحب فَاطِمَة وأمي قالت لي أن أنساها؛ لأني لن أتزوجها". ضحكتُ وقلتُ: "أنا وأنت واحد، أنا أتزوجها".

لم يبتسم وظَلَّ سائرًا ويده تَنْضَح عرقًا.

قال حسام وهو يقف أمامنا عند التُّرْعَة: "يا روماني، الله واحد أم ثلاثة". قلت: "يا حسام أنا وروماني واحد". قال روماني: "الله واحد في ثلاثة". قال حسام: "المسيح حي أم ميت". قال روماني: "أنت قذر". قال حسام: "أنت كافر". وتَرَكَنَا وظلَّ يضحك وسار بعيدًا.

خَرَجَتْ فَاطِمَة من البيت فسرنا وراءها أنا وروماني، كان ينظر إليها بشغف وحنان، وكنتُ ألمح في عينيها رضًا وانشراحًا، فقط قال بكل روحه: "يا فَاطِمَة، يا فَاطِمَة"..

التفتتْ وواجهتني وقالت: "عيب عليك، أنت والمسيحي".

قلت: "هو يحبك".

قالت: "أنت ملعون". تركتنا فَاطِمَة وظلَّ هو ساكنًا مذهولاً ينظر لها وهي تبتعد وكأنَّ روحه تنسلخ من قلبه ثُمَّ نظر إليَّ بكل روحه وقال بصوت مجروح:

"ابتعد عني". ودفعني بشدّة وتركني ومشى ناحية بيته ولم يلتفت لندائي وظَلَّ يسير متشنجًا ودمعة محبوسة في عمق روحة كادت تَنْحَدر،

لكنه أمسكها وصعد السَّلالم بسرعة ووقف عند آخر درجة وخلع قميصه وبقي أمامي، جسده يلمع كمقدس بيني وبينه عشرون درجة وهو يردّد:

"ابتعد عني، ابتعد". وأنا واقف أنظر لروح جسده الذي ظَلَّ ينتفض أمامي وكنت أتمنَّي أن أحتضنه وأعتذر له وهو يردّد: "ابتعد، ابتعد". وظل يلمعُ كمقدس، يضخ جسده عرقًا كحبات البلّور ويداه تلوحان لي كمسيح مصلوب: ابتعد، ابتعد.

حَوْصَلة فِضِيَّة خَضْرَاء خَالِصَة

النَّار ثُمَّ النَّار ثُمَّ النَّار وعذاب القبر والثَّعابين والشُّجاع الأقرع وأنا ورومانى نتابع العصافير وهي تُحَاوِل جاهدة بكل عزم أن تجد لها مَنْفَذًا في المسجد ليَسْنَح لها بالخروج من إحاطة صوت الشَّيْخ قنديل.

غاصتْ أقدامنا في طين تُرْعَة المحمودية فانخلعتْ أحذيتنا وسمعنا حفيفًا يتابعنا وأحاطتنا أنفاس تطاردنا فلم نلتفت وظللنا نجري، نجري، فانغرستْ أقدامنا في المسامير وقِطَع الزُّجاج المكسور فنز دَمنا مختلطًا بطعم الطِّين وتألمنا ولم نلتفت.

حين رأينا رجلاً قادمًا من بعيد يخترق غبشة الفجر اطمأنت قلوبنا وكدنا نلتفت، لكن روماني صرخ: "لا تلتفت". فشعرتُ أن العصفور سيَبْتَلِعني وجرينا لنهاية الطَّرِيق عند بداية شعاع الضَّوْء ومسحنا الدِّماء من بطن أقدامنا.

حين يراني الشَّيْخ علي الزرقاني أدخلُ مع روماني المسجد يوم الجمعة؛ يمسح شعري ويبتسم لروماني، فتمنيتُ أن أقول له إنَّني

أذهب يوم الأحد للكنيسة مع روماني لأني أحب الألحان السَّماوية التي تعزفها المجموعة،

روماني يحب العصافير الخضراء التي تدخل المسجد يوم الجمعة فقط ثُمَّ تخرج وتختفي في قلب الشَّجَرة الزَّرْقاء التي أمام المسجد مباشرة.

تنبض عروق الشَّجَرة الزَّرْقاء بلون أحمر، وتزدهر أوراقها حين تَحطُّ عليها العصافير الخضراء التي تدخل المسجد يوم الجمعة لتستمع لقرآن الشَّيْخ علي الزرقاني قبل أن يصعد الخطيب المنبر، تظل ساكنة على حوائط المسجد تستمع كأنَّها زخارف سماوية، وتبقى هادئة حَتَّى ينتهي الخطيب من الخطبة ثُمَّ تنطلق في منتصف الصَّلاة، يقول روماني الذي يتابعها ولا يصلي إنَّها تختفي داخل قلب الشَّجَرة.

يوم الخميس، اتفقنا أنا وروماني أن نستيقظ في الليل بعد أن ينام جميع أهلنا ونجيء للشجرة؛ حَتَّى نعلم من أين تأتي العصافير، استلقينا على ظهورنا تحت الشَّجَرة، وجعلنا السَّمَاء مظَلَّة وبقينا نحدِّق في الشَّجَرة التي ظلَّت ترتجف طوال الليل، ورأيتُ الطَّائر الأزرق الضَّخْم السَّاكن عند قمة الشَّجَرة لا يَرِف. قال روماني: "العصافير تأتي من تحت جناح هذا الطّائر". قلت: "بل تأتي من قلب الجَنَّة". وحدَّقنا كثيرًا في فروع الشَّجَرة وغَفَوْنا للحظة.

حين فتحتُ عيني ونظرتُ للفجر الذي بدأ يتفتَّح في السَّمَاء كانت الشَّجَرة ممتلئة بالعصافير الخضراء النَّائمة على الورق، الْتَفَتُّ لروماني، فأمسك طرف الخيط الذي رَبَطَه في فرع الشَّجَرة قبل أن نغفو، وكانت نهايته في يده وطرفه عند فرع الشَّجَرة، ينام عليه باطمئنان عصفورٌ أخضر، حين شدَّ روماني الخيط، انحنى الفرع ناحيتنا وتدحرج العصفور نائمًا على الأرض فاقتربنا منه.

العصفور أخضر رائع، بين كل ريشتين خيط فضي رفيع، ويحيط برقبته ثالوث من دوائر الفضة اللامعة، أما حوصلته ففضة خضراء خالصة، يهتز داخلها شيء ما سِحري، رأينا حركتها وسمعنا الصَّوت ينبعث من داخلها كأن شخصًا حيًا شفافًا ونورانيًا في الدَّاخل، يقرأ ما يشبه القرآن، ويترنَّم بما يشبه الألحان السَّماوية التي تعزفها المجموعة في الكنيسة.

دقَّقنا النَّظر في حواصل العصافير النَّائمة على الشَّجَرة فكانت جميعها فضة خضراء خالصة، وتَرْجُف نفس الرَّجفة، ويخرج منها نفس أنين القرآن والتَّرانيم، كان العصفور ما يزال نائمًا على الأرض وحوصلته تهتز، قال روماني: "بسم الصليب".. ومَسَحَ حوصلة العصفور وارتجف.

نظرتُ لوجه روماني وهو يشع نورًا أخضر كملاك وقال لي: "أنا سعيد، أنا سعيد". فمسحتُ على حوصلة العصفور فكدتُ أطير

فوق السَّحاب وشملتني راحة الرُّوح ونعمة السَّعادة وكأنِّي عصفور أخضر، ولم أنتبه إلا ورومانى يبعد يدي ويقول: "اتركه، اتركه".

فنظرتُ للعصفور فرأيته يتضخم، يتضخم، فأصابتني رجَّة وجريت أنا ورومانى فغاصت أقدامنا في طين تُرْعَة المحمودية وانخلعتْ أحذيتنا وسمعنا حفيفًا يتابعنا وأحاطتنا أنفاس تطاردنا فلم نلتفت وظللنا نجري، نجري.

سألني رومانى عن الشَّيْخ قنديل فقلت: "أنا لا أحب رائحة عرقه وأكره فمه الغليظ". قال رومانى: "الشَّيْخ قنديل يضربني بالعَصا كلما رآني ويقول لي ستدخل النَّار". قلت: "ألم تلاحظ أن العصافير تهرب منه فور أن يصعد للمنبر يوم الجمعة". قال رومانى: "لو عَلِمَتْ العصافير بموعد خطبته أظن أنها لم تكن لتدخل المسجد أصلاً". قلت: "العصافير تحب صوت الشَّيْخ علي الزرقاني وتكره صوت الشَّيْخ قنديل". قال: "الشَّيْخ قنديل يكره العصافير، لقد رأيته ينظر لها بحقد وهي تغادر المسجد حين يصعد للمنبر".

سرنا للمسجد نتمنَّى أن لا يخطب الشَّيْخ قنديل في مسجدنا أبدًا؛ حَتَّى نظل نستمتع بالعصافير وهي تدور فوق الحوائط.

يوم الجمعة، حين بدأ الشَّيْخ علي الزرقاني قراءة القرآن، دخلتْ العصافير المسجد وظلَّتْ تغرد بحنو روحاني وكأنَّها تردِّد معه الآيات، لمَّا صعد الشَّيْخ قنديل المنبر زامت العصافير، وبدأت تتجمَّع متجهة ناحية باب المسجد فصرخ الشَّيْخ قنديل: "أغلقوا

الأبواب بسرعة". فَبَقِيَتْ العصافير تلفّ وتدور حَوْل المصابيح وبدأ يخطب منتشيًا.

النَّار ثُمَّ النَّار ثُمَّ النَّار وعذاب القبر والثَّعابين والشُّجاع الأقرع، وأنا ورومانى نتابع العصافير وهي تحَاوِل جاهدة بكل عزم أن تجد لها منفذًا في المسجد ليَسْنَح لها بالخروج من إحاطة صوت الشَّيْخ قنديل، إذ إنَّ العصافير ارتجفت من شُعَل النِّيران الخارجة من فم الشَّيْخ قنديل وظلَّت تَلِفُّ وتدور بلا صوت في سماء المسجد، وبقى هو يبحث عن الدِّيدان والعقارب والحيات وهو ينظر للعصافير سعيدًا بأنها لم تستطع الهروب، وظل يُنَدِّد بالعذاب الصَّاعق والحاقة والقارعة، متوعدًا بالسَّعير وقعر جهنم، وبقي يُشعل النِّيران ويؤججها وأنا ورومانى نشهق حين نرى اختناق العصافير وهى تحَاوِل بيأس أن تخرج فلا تستطيع، فظلَّت تدور في انتظام غريب حَوْل رؤوس المصلين، وتئن بصمت يوازي صراخ الشَّيْخ قنديل، الذي رجَّ جدران المسجد وأعمدته بالنيران التي أجَّجها ولم يترك ثقب إبرة للتنفس الحُر.

تضخَّمتْ العصافير في وقت واحد بنفس الحجم الذي رأيناه أنا ورومانى عند الشَّجَرة فَجْر الخميس، تضخَّمتْ حَتَّى صارت كبالونات تتطاير فوق بركان وحُمَم من صهد وسعير ثُمَّ اتجهت ناحية الشَّيْخ قنديل فأصابه الرُّعب وكاد يسقط على الأرض لولا أنَّه صرخ، النَّار ثُمَّ النَّار ثُمَّ النَّار فانكمشتْ العصافير وأصابها الدُّوار وبدأت في التَّساقط واحدًا تلو الآخر على رؤوس النَّاس.

جَمَعَ النَّاس العصافير في صمت، فلم نَسْمَع سوى صوت الشَّيْخ علي الزرقاني وهو يُرَتِل آيات عن الشُّهداء، وراح النَّاس يحفرون للعصافير تحت الشَّجَرة الزَّرْقاء أمام المسجد؛ عسى أن تخرج إليهم في الجمعة القادمة تُحلق فوقهم في فرح وانشراح مع صوت القرآن النَّدِي دون أن يُغلقوا الأبواب.

رُومَاني

وَقَفَ في قلب الشَّارع وصَرَخَ فانفتحتْ الشَّبابيك الغارقة في نعومة النَّوْم عدا شباك وحيد ظل نور إضاءته خافتًا، رُبَّما كان مُتْعَبًا فلم يهتم بصراخ الضَّخْم وتحوَّل الفجر إلى ظهيرة، قال الضَّخْم: "الكلام للجميع". نظر النَّاس حيث الشُّبَّاك المغلق وزعقوا "يا روماني، يا روماني". لكن شباك روماني ظل ناعسًا ولم يفق، صرخ الضَّخْم: "أول من سيخرج منكم اليوم سيخلع ملابسه ومن لم يفعل سأفجره وها هي دائرة المتفجرات".

وضع عشر زجاجات معدنيَّة في وسط الشَّارع ووقف وسطها، نظر الرِّجَال إلى نسائهم وبصَّ كل رجل على الآخر، وانكسرت عيونهم، وانسحبوا للداخل دون صوت، وأغلقوا الشَّبابيك وتركوا شقًّا يتابعون منه ما يحدث بحسرة، قالت امرأة: "ألا يقف أحد أمام هذا الجَبَّار؟!". فسَكَتَ زوجها واستراح على السَّرير، قالت أخرى: "ألن يذهب أحد إلى عمله؟". فأشعل زوجها سيجارة وتركها ودخل الحَمَّام.

وكأنَّ البيوت صارت مقابر بلا صوت سوى ارتعاشات الأرجل وتوتر الأعصاب، فكل الرِّجَال يُدَخِّنون في وقت واحد، ودخان سجائرهم خرج من الشِّيش في نفس الوقت فأصبحتْ البيوت وكأنها تحترق من الداخل، النِّسَاء تروح وتجيء في عصبية ينظرن لأزواجهن، والرِّجَال يختفون وراء الدُّخان.

مَرَّت اللحظات كسيف مسموم يقطع جفون العيون ويجعلها لا تستطيع الغفوة للحظة واحدة، السُّكون حطَّ على كل البيوت المستيقظة رغمًا عنها؛ تُتَابِع من وراء شقّ الشِّيش الضَّخْم وهو يدخِّن سيجارته في نصف دائرة المتفجرات، متى يأتي الصَّباح ويخرج رجل يكسر هذا الرُّعب الذي دَخَلَ القلوب؟ فقط رجل، هل كل هذه البيوت لم يعد فيها رجل واحد؟

دَخَلَ شعاع الضَّوْء شقّ الشَّبابيك فانتفضتْ العيون وألقتْ القلق ووقفتْ على حد الذُّهول تَرْقُب من وراء الشَّبابيك أَوَّل من سيخترق قانون الضَّخْم وينزل للشارع، وكل النِّسَاء نظرن لأزواجهن نظرات تطلب الحماية، لكن الرِّجَال أشعلوا السَّجائر ووقفوا مع نسائهم يرقبون ماذا سيحدث، طال وقوفهم خلف الشَّبابيك وانتهوا حين ظهر شعاع الشَّمْس.

العيون تسمَّرت ولم تصدق روماني وهو ينزل الشَّارع يعدل ملابسه ويمسح أثار النَّوْم العميق الواضح على جلد وجهه المستريح.

خَطَا روماني خطوتين، وبمنتهي العفويَّة والبساطة ألقى السَّلام على الضَّخْم، واستغرب من دائرة العُلب المعدنيَّة التي يقف في وسطها الضَّخْم قال الضَّخْم: "تعال". شعر روماني أنَّ في الأمر ريبة فنَظَرَ لأعلى فلاحظ أن هناك من ينظر من خلف الشيش. قال الضَّخْم: "ادخل الدَّائِرة". لم يتكلَّم روماني وسمع صوت ضربات قلبه وهي تدق بعنف. قال الضَّخْم: "الدَّائِرة ستنفجر إذا لم تسمع ما أقوله وتُنَفِّذه". دَخَلَ روماني الدَّائِرة وإحساسه أكد له أنَّ في الأمر شيئًا لم يعرفه قد حدث بالأمس؛ لأنَّه كان غارقًا في النَّوْم. قال الضَّخْم: "أَلْقِ كل ما في جيوبك على الأرض". نَظَرَ روماني لأعلى وسَمِعَ همسات وراء الشَّبابيك فألقى السَّجائر والمناديل، ووضع يده على صدره، وتنفس بعمق وكأنَّ الهواء يشق صدره كحد السِّكين.. قال الضَّخْم:" اخلع ملابسك".

لمَّا سَمِعَ روماني أصوات النِّسَاء والرِّجَال خلف الشِّيش بهمس خفي "ادخلي".

"لا".

أعجبته اللعبة وعَلِم أن الرِّجَال مع نسائهم يشاهدون ما يحدث فخلع القميص والبنطلون، وبقى بملابسه الدَّاخلية. قال الضَّخْم: "اخلع كله".

كلمة الضَّخْم وقعتْ كالصاعقة على البيوت، الرِّجَال جذبوا النِّسَاء من شعورهن وأدخلوهن للغرف الدَّاخلية؛ حَتَّى لا يرون ما يحدث، والنِّسَاء أصابهن الجنون فقرَّرن متابعة الأمر حَتَّى النهاية.

نظر روماني للضخم وابتسم. قال الضَّخْم: إذا لم تخلع سأشعل عود ثقاب وأفجرك، صرختْ النِّسَاء بلهفة وحُرقة، صاحتْ واحدة في زوجها: "روماني سيموت". قال الرَّجل: "ادخلي يا امرأة". قالت أخرى بصوت سمعه الجميع: "جبناء لو تركتم روماني وحده في هذا الموقف، انزلوا معه، إما أن تخلعوا ملابسكم أو تجعلوا الضَّخْم يخلع ملابسه". قال رجل: "اخرسي".

انْفَتَحَتْ الشَّبابيك كلها دفعة واحدة، وخَرَجَتْ كل النِّسَاء ولم يخرج الرِّجَال، دار روماني برأسه لأعلى ثُمَّ بهدوء أخذ بنطلونه وبدأ يرتدي ملابسه ولم يهتم بالضَّخْم الذي أشعل عود الثقاب وراح يهدِّد بالتفجير، قالت النِّسَاء: "حرام، حرام". نزلتْ على روح روماني سَكِينة ناعمة وراح في طمأنينة مريحة يضع عُلْبَة سجائره ومناديله في جيبه، والضَّخْم أصابه الاضطراب والفَوَران عندما أشعل روماني عود ثقاب ووجَّهه ناحية الضَّخْم وهو يبتسم. ذُهلتْ النِّسَاء وقلن: "يا مجنون".

خَرَجَ الرِّجَال يتابعون مع نسائهم روماني والضَّخْم واقفان أمام بعضهما وفي يد كل منهما عود ثقاب مشتعل، قال الضَّخْم: "سأفجرك". لفَّ روماني حَوْل نفسه بعود الثقاب وأشار للناس

وكأنَّه يلقي إليهم تحيَّة، وألقى العود على العُلب المعدنيَّة وارتمى فجأة على الضَّخْم وسحبه داخل الدَّائِرة.

صَدَرَتْ من كل الشَّبابيك صرخة واحدة رجَّت المكان: "روماني، روماني". وانفجرتْ العُلب المعدنيَّة انفجارات زائفة سريعة مدوية، وأخرجتْ دخانًا شديدًا بان من بينها روماني متشبثًا بالضَّخْم، والضَّخْم يضرب فيه بكلتا يديه، والفرقعات تزداد، والنِّسَاء تولول، والرِّجَال يحدقون في الدُّخان.. قال الضَّخْم: "ستموت يا مجنون، اهرب". سَمِعَ الجميع ضحكات روماني وهي تصل لسُحب السَّمَاء وكانت ضحكاته رائقة كحليب طازج.

هدأت الفرقعات وبان شعاع الشَّمْس وظهر النَّهَار جَلِيًّا وزاد الدُّخان.. كان الضَّخْم يضرب روماني بقوة وروماني يضحك وهو متشبث بعنق الضَّخْم، صرختْ النِّسَاء: "أنقذوه". قال رجل: "اسكتي". اندفعتْ النِّسَاء من الشَّبابيك للداخل وما يزال روماني يقهقه بصوت مرتفع غَطَّى على شمس النَّهَار.

الْتَفَتَ روماني فوجد النِّسَاء يخرجن من أبواب بيوتهن مندفعات نحوه؛ فزاد تمسكه بالضَّخْم، والضَّخْم صرخ وهو يضربه: "سأقتلك". وقفتْ النِّسَاء في دائرة حولهما، بُهِت الضَّخْم من كَمِّ النِّسَاء المُتَجَمِّع حولهما؛ فترك روماني ووقف ينظر للنساء في ذهول وهن يتقدَّمن نحوه في هدوء، يُحْكِمْنَ عليه الدَّائِرة وتركن روماني

يتسـرَّب مـن بيـنهن، وأطـبقن على الضَّخْم وتكـوَّمن عليـه وظللـن يرتفعن وينخفضن والضَّخْم مكوم مكتوم الصَّوت.

كـان الطَّقـس احتفاليًـا، الرِّجَـال يلعنـون النِّسَـاء مـن الشَّـبابيك، والنِّسَـاء يزغـردن ويـرتفعن ويهـبطن فـوق الضَّخْم حَتَّى خلعـن لـه ملابسـه قطعـة وراء قطعـة، والضَّخْم صرخ وجرى عاريًا في الشَّارع تتبعه زغرودة عالية، وعشرات الأيدي راحت تمسح الدِّماء من على وجه روماني.

حُزْن مَمْلوء بِبَقَايا الضَّوْء والحَلِيب

ولقد رأيتُ اسمها محفورًا علي جبينه، يضوي، وهو واقف مرفوع اليدين ينظر إليها وقلبه مُعَلَّق باسمها المرفوع عاليًا في وجه الشَّمْس.

أمرتنا المُعلمة أن يُخْرِج كل منا ورقة نظيفة، بيضاء كالحليب، من الوجهين، وأشارتْ لورقة في يديها وقالت: "هنا في المنتصف، ليكتب كل واحد منكم اسمه ثُمَّ يقوم بتفريغه وبعدها سأريكم كيف تَطْبَعون أسماءكم على أي شيء، هيا الآن".

روماني خَطُّه جميل جدًا، وفَاطِمَة تجلس خلف روماني ويدها ترتعد، نظر روماني إليها فحنَّت روحه وهَزَّت رأسها وابتسمتْ فابتسم لها وأنا بدأتُ في كتابة اسمي، دقيقة ووجدتُ روماني يتابع المُعَلِمة بقلق، حين أعطته ظهرها دَفَعَ الورقة التي بيده لفَاطِمَة ولمحتُ اسم فَاطِمَة مُفَرَّغًا داخل الورقة التي أعطاها لها، أَخَذَتْها فَاطِمَة وابتسمتْ وكانت أمامها ورقة بيضاء فأشارتْ لروماني فمدَّ يده وأخذ ورقتها البيضاء، لكنَّه في اللحظة التي كانت يده تنسحب، التفتتْ المُعَلِمة فرأتْ يده، فأمرته بالوقوف ونظرتْ للورقة البيضاء التي في يده وأمرته أن يذهب عند السَّبُّورة ويرفع كلتا يديه .

فَاطِمَة احمَّر وجهها ونظرتْ لي فنظرتُ لها في غضب وازداد احمرار وجهها، نظرتُ لروماني وقالت روحي له إنني سأحكي ما حدث لكنه طلب مني السُّكوت فسكتُ.

حين قالت المُعَلِمة: "مَنْ انتهى؟". لم يرفع أحد يده سوى فَاطِمَة، فَصَفَّقوا لها جميعًا، وظللتُ أنظر لروماني وطلبتْ المُعَلِمة أن ترفع فَاطِمَة اسمها عاليًا، عاليًا.

ضوء الشَّمْس ونور الله وقلب روماني، كل ذلك تجمَّع في الاسم المحفور في الورقة وأضاء، نعم، أضاء اسم فَاطِمَة بكل وضوح علي جبين روماني الواقف عند السَّبُّورة رافعًا كلتا يديه كمسيح مصلوب وقلبه مُعَلَّق بتجويف الاسم.

نظرنا لبعضنا وأصابنا الذُّهول، كأنَّ روماني كَتَبَ اسم فَاطِمَة بحروف الضَّوْء على جبينه، ولم تكن فَاطِمَة ترى ذلك، إذ أنَّها كانت تعطي روماني ظهرها وترفع يديها عاليًا، عاليًا وهي تبتسم.

أنا نظرتُ لاسم فَاطِمَة المكتوب بيد روماني والمطبوع علي جبينه والذي يراه الجميع وكدتُ أصرخ؛ إذ أن ظلال اسمها ارتدت منعكسةً على قميصي الحليب، عند القلب تمامًا، فلم يره أحد غيري ورحتُ في حزن مملوء ببقايا الضَّوْء والحليب أتحسَّس الوخزة التي دَبَّت في قلبي.

سَأَلْعَب

أنا ورومانى ومحمد عبد الكريم وسمير عبد الوهاب وميلاد ومحمد فكري خرجنا من المَدْرسة سويًا، وضعنا حقائبنا على أرض الشَّارع وصنعنا منها مَرْمَيان نُسجِّل فيهما الأهداف، وَقَفَ روماني وميلاد حارسين وبدأنا اللعب.

نجري في نشوة ونقفز في سعادة، نطير في الهواء ونلتقط رُوح العَالَم برؤوسنا حين نلمس الكُرَة، يتصبَّب العرق لذيذًا فوق جباهنا وتَحْمَّر وجوهنا ونصبح عصافير الكون، نطير وراء محمد عبد الكريم الذي يقذف الكُرَة بكل قوته ولا يعلم أين ستذهب، لكني أضع رأسي في طريقها فيمسكها روماني بمهارة، يراوغنا سمير عبد الوهاب وينطلق وحيدا بالكُرَة حَتَّى يجد محمد فكري فيعطها له؛ كي يسدِّد هدفًا، لكن ميلاد يمسك منه الكُرَة بمهارة.

حسام طويل وضخم، يدخل في منتصف الشَّارع الملعب، أَمَسَك الكُرَة وأَصَرَ أن يلعب معنا وأن يُخرج واحدًا منا الآن ويلعب هو كبديل له.

نظرنا لبعضنا وللكرة التي في يد حسام، فقال له سمير عبد الوهاب: "العب بعد أن تنتهي المباراة". قال حسام: "سألعب الآن

وسيخرج واحد منكم". قلت: "باقي دقائق يا حسام وتنتهي المباراة وسنلعب مباراة جديدة ويمكنك أن تلعب". قال بإصرار: "سألعب الآن، الكرة معي".

نظرنا لبعضنا حين غَمَز لنا روماني وقال: "سأخرج أنا". قال حسام: "لن أقف حارس مرمى مكان روماني، سألعب". ابتسم روماني وغَمَزَ لمحمد فكري، فقال محمد فكري: "سأخرج أنا".

ضَرَبَ حسام الكُرَة فوقعتْ في يد روماني، ظَلَّ واقفًا ممسكًا بالكُرَة وهو مبتسم فقال حسام: "العب". تَجَمَّعنا حَوْل روماني في دائرة وحسام يصرخ: "العب، العب".

حَمَلْنَا حقائبنا وسِرْنا في طريقنا نبحث عن شارع آخر نكمل فيه المباراة، وتركنا حسام واقفًا وحده ينظر للكرة في يد روماني والحَسْرة تتساقط من ملابسه على أسفلت الشَّارع وهو يصرخ: "سألعب، سألعب".

دِفْء خَاص

قَلْب السَّمَكة

تَرْتَجِفُ مضطربة وقلبها ينبض بعنف، فاغرة فاها وعيناها مفتوحتان عن آخرهما، تشق الْبَحْر ورائي بعنف، فاردة زعانفها كسيوف حادة وأنا أعوم، أعوم، أُحَاوِل الهرب فتفتح فمها أكثر؛ تريد أن تلتهمني وتقضم لحمي، فأقوم مفزوعًا وبريق عينيها ما يزال يُحَدِق بي.

قبَّلتُ يده وقلت خذني معك، فأعطاني والدي صنَّارته فحملتها وذهبنا للشاطئ، نَظَرَ للموج كأنَّه ينتقي بقعة من الْبَحْر تناسبه وفَرَدَ المقعد واستراح عليه، رأيتُ قطعة من البوص فأخذتها ووضعتها جانب صنَّارته، أخرجَ تُرمس الشَّاي وصَبَّ له كوبًا وراح يمتص رحيق الشَّاي وأعطاني فطيرة وترك التُرمس والكوب على الأرض وقال: "اجلس جانبي ولا تَتَحَرَّك". حين رأيت طيَّارة ورقية تطير بين النَّوارس أردتُ أن ألقي الفطيرة في الْبَحْر وأطير، لكنَّه شدَّ انتباهي حين أخرج عُلْبَة بها قليل من الدُّود، وقِطَع السَّمك الصَّغير، وعجينة وشيء من الجمبري الصَّغير، وبمهارة ألقم الدُّودة في الخُطَّاف، وطوَّحها في الْبَحْر بعيدًا، بعيدًا، وراح ينظر بكل

أعصابه لنقطة ما في الْبَحْر، كأنَّ كل كيانه مشدود بأصبعه، إذ إني رأيت اهتزازًا بسيطًا ورعشة في أصبعه الذي يسند به خيط الصِّنَّارة، كأنه سَيُطلق رَصاصة.

أخذتُ حجارة وألقيتها في الْبَحْر فنهرني بشدَّة، أمسكتُ بعض الأصداف ورحتُ ألعب، حين غَمَزَتْ صنَّارته رأيته يقف ويسحبها بشهوة غريبة وتصميم لم أره على وجهه من قبل، فخرجتْ سمكة كقطعة فضة تتخبَّط في الْمَاء، أخذ الصِّنَّارة بعيدًا وظلتْ السَّمَكة تَرْتَعِد في الهواء حَتَّى أمسك رأسها وخَلَّصها من الصِّنَّارة، ووضعها في الصُّندوق.

حين ألقى الصِّنَّارة مَرَّة أخرى، ذهبتُ للصندوق وفتحته، كانت السَّمَكة ترتجف وقلبها ينبض بعنف فاغرة فاها وعيناها مفتوحتان عن آخرهما تنبض وتنبض وتنبض وكادت تقفز وتنهشني فَنَهَرَني وأغلق الصُّندوق.

كَمْ عدد الموج؟ أين يذهب هذا الكَمّ الهائل من الموج القادم من قلب الْبَحْر البعيد؟ هل استطاع الرَّجل العجوز، الذي يجلس بصنَّارته على صخرة تملؤها الطَّحالب، وبجانبه زجاجة ماء مثلجة، أن يَعُد الموج وهو يدقّق في الْبَحْر هكذا؟ غمزتْ صنَّارته فلم يتحرَّك من فوق الصَّخرة، وأمسك الخيط بحنان، وفك السَّمكة التي اصطادها، وهَمَسَ لها بشيء يخصه وظلَّ يُتَمْتِمْ وينظر في عينيها

ويبتسم ثُمَّ ألقاها في الْبَحْر، لقد فعل العجوز ذلك مَرَّات حَتَّى رأيتُ السَّمَكة التي كان يهمس لها تضطرب في صنَّارة والدي.

في الليل جاءتني نفس السَّمَكة فاغرة فاها وعيناها مفتوحتان عن آخرهما تشق الْبَحْر ورائي بعنف، فاردة زعانفها كسيوف حادة وأنا أعوم، أعوم، أُحَاوِل الهرب فتفتح فمها أكثر تريد أن تلتهمني وتقضم لحمي فأقوم مفزوعًا وبريق عينيها ما يزال يحدق بي.

أخذتُ البوصة التي وجدتها ملقاة، ورَبَطُّ بها خَيْطًا، وجلستُ بجانب والدي فضحكَ حين رآني أُلقي الخَيْط في الْبَحْر بدون خُطاف قال: "الصَّيد لا يكون إلا بخُطاف وطعام للسمك". تَذَكَّرتُ السَّمكة وهي تنتفض والخُطاف معلَّق بفمها الذي يقطر دمًا وراودتني وهى تجري ورائي في الحُلم فقلت له: "سأصطاد بعيدًا".

ابتعدتُ عنه وجلستُ على طوبة ونظرتُ إليه فكان منهمكًا في صيده، فأخرجتُ من جيبي السَّمكة البلاستيك التي خبأتها، والتي تشبه السَّمكة التي تطاردني في أحلامي، ورَبَطتها في الخيط وألقيتها في الْمَاء بعد أن همستُ لها كما يفعل الرَّجل العجوز.

عامت على جلد الْبَحْر قليلاً قليلاً ثُمَّ رأيتها تهتز، ورأيتُ كَمًّا هائلاً من الأسماك تتجمَّع حَوْل سمكتي، فانحرفتُ ببوصتي قليلاً، فسارت الأسماك وراء سمكتي، نَظَرَ لي العجوز وغَمَزَ لي بعينيه،

فابتسمتُ لـه وأخـذتُ أبتعـد ببوصـتي والأسـماك تتبعني بعيـدًا، بعيدًا، عن والدي الذي ظَلَّ يَتَرَقَّب في حسرة أن تَغْمِز صنَّارته.

المَوْكِب

أنا أعمى، أريد أن أعبر الطَّرِيق لأذهب إلى الجامعة، فلو تأخرتُ لن أجد من يقرأ لي، مدَدْت يدي فاصطدمتْ بظهر، انحرفتُ قليلاً فوجدتُ ظهرًا آخر، هل هناك طابور يقف فيه الخَلْق هكذا على الكورنيش؟ قلت: "لو سمحت، أريد أن أعبر الطَّرِيق". قال بصوت ميت خارج من جوف قبر: "لا عبور الآن، سيمر الموكب، ونحن هنا منذ خمس ساعات ولم يمر، اتركنا في حالنا يرحمك الله". قلت: "فقط أفسحوا الطَّرِيق وأنا سأمر". قال الصَّوت الميت والذي عرفتُ أنَّه لجندي: "ممنوع يا أستاذ، استأذِن الضابط". قلت: أين الضابط؟". قال: "هناك". ثُمَّ وجدته فجأة يصرخ: "يا سعادة النقيب، الأعمى يريد المرور". سَقَطَ خنجر داخل روحي وشعرتُ أني أعمى وتمنيتُ أن أموت، لكن الضابط قال له: "يمر". أمسكني الجندي ومشي بي.

جريتُ معه حَتَّى أُنهي المسافة بسرعة وأتخلَّص منه، لكنَّه قال: "سأوصلك لحيث تريد". قلت: "شكرًا". وأردتُ أن أطعنه بخنجر مسموم فأردفتُ: "أنا أعمى لكني أعرف طريقي جيدًا". قال: "أنا آسف، لقد قلتُ ذلك لينتبه الضابط". قلت: "وصلْنَا". قال: "هناك بائع زجاجات مياه غازية هيا بنا نشرب". قلت لنفسي يريد أن يأخذ ثمن عبوري للطريق، فأخرجتُ جنيهًا وقلت: "خذ". قال: "لقد فهمتني خطأ، أنا أريد أن تشرب زجاجة مياه غازية على حسابي، أرجوك، خَلِّص روحي لمُدَّة دقائق". عندما قال ذلك شعرتُ أنَّني لستُ أعمى، وأنَّه بحاجة كي يتخلَّص من الطَّابور. قلت: "هيا بنا نشرب".

ونحن نجرع المياه الغازية كان صوت الدرَّاجات النَّارية يعلو. أنهيتُ زجاجتي بسرعة وأعطيته الفارغة ليضعها في الصُّندوق قلت: "الموكب سيمر". قال: "سأشرب باقي الزُّجَاجَة وأذهب". وأنا أسمع قطرات المياه تنحدر في حلقه على مهل كان الموكب يمر ضاجًا وسريعًا، قال: "ألذ زجاجة شربتها في حياتي". قلت: "ستعود الآن؟" قال: "لن أعود، لقد مَرَّ الموكب، وحين يمر يتحرَّر الجنود" وسَلَّم عليّ وقال: "أشكرك، لن أنسى معروفك أبدًا" وسمعتُ طرقات حذائه على الطَّرِيق حُرَّة وراغبة في الطَّيران.

فَأْر حَلاوة

تُطِلُ ليلة النِّصف من شعبان؛ فيتحوَّل بيتنا لفرح طازج، تدخل أمي المطبخ فَنَتَنَسَّم رائحة أوراق العِنَب والبَطَّة المشويَّة، وتداعبنا فطائرها اللذيذة، لكنها تأبى أن نلمس الطَّعام قبل أن تنتهي تمامًا.

يعود أبي من العمل مبتسمًا، يحمل عُلْبَة حَلْوَى ويهمس لأمي: "كل عام وأنتم بخير". ويضع الْحَلْوَى على المقعد بجانب الباب، وأمامنا جميعًا يُقَبِّل أمي فوق جبينها بحنان شفَّاف ويغمض عينيه فتبتسم في حياء لذيذ، ويضج وجهها بالحُمْرة وترتبك، فتأخذ الْحَلْوَى على عَجَل وتضعها على رفِّ في المطبخ.

أظَل مؤرقًا طالما أمي داخل المطبخ، أنتظر أذان المغرب بقلب يحترق، وأنا أرقُب تحركات أمي حَتَّى تجلس لتأكل مع أبي، أَتسلَّل وأدخلُ المطبخ، أُحضر مقعدًا وأقف عليه وأمد يدي لعُلْبَة الْحَلْوَى، بحيث لا أُمَزِّق اللَّزْق فيها؛ فلا يظهر أن أحدًا عبث بها..

أمسك قطعة الْحَلْوَى المغلَّفة بالسوليفان، فيصدر منها حَفِيف يملأ قلبي بالخوف، ويُهَيَّئ لي أن العالم يسمع صوت السوليفان،

أضع قطعة الْحَلْوَى داخل جيبي وأنزل لبئر السُّلم أمتص السُّكَّر، وأتمنَّى أن يظل طعمه في فمي مَدَى الحياة.

عندما يأتي أبي من صلاة العشاء، نسمع معه الشيخ عبد الباسط، فَتُحْضِر أمي أوراقًا بيضاء مستطيلة ناصعة، وتفتح عُلْبَة الْحَلْوَى من الجِهة التي أخذتُ منها، فيسقط قلبي في قدمي، تنظر لي، أبتلُ عرقًا وأتأكد أنها عَلِمَتْ أني أخذتُ قطعة، تضع أمام كل واحد منا ورقة وتُوَزِّع قطع الْحَلْوَى بالتساوي: السودانيَّة، جوز الهند، الحمصيَّة، السمسميَّة، الملبن الملون.

يأخذ أبي ورقته وهو جالس علي المقعد، ويظل يَمُصّ رحيق السُّكَّر وهو يُرْهِف السَّمع للشيخ عبد الباسط ويستمتع متعة تُذَكِّرُني بقطعة الْحَلْوَى التي أخذتها في بئر السُّلم، أشعر بالسَّعادة حين أراه سعيدًا هكذا، وآكل الْحَلْوَى بنهم لا أعرف من أين يأتيني، وأنظر لأخي إبراهيم الذي لا يحب الْحَلْوَى، لكنه يأخذ ورقته ويلفُّها كي يعطي أختي منها في الصَّباح حَتَّى تكوي له ملابسه، وأنا أنظر لقطع الْحَلْوَى التي يضعها أخي في جيبه وأقرِّر أن أصنع له شيئًا يريده؛ حَتَّى أحصل منه على قطعة.

لمَّا أنتهي من أكل الْحَلْوَى بسرعة أنظر لأمي فينظر لي أبي ويبتسم، يُلقي لي بقطعة فألتقطها بلذَّة وأبتسم لأمي، فتعطيني قطعة الملبن التي تعلم أنني أعشقها وتنظر لي وتقول: "فأر حلاوة"..

أُنَكِس رأسي وقد لمحتُ آثار انكسارات في العُلْبَة تَدُل علي أصابعي، وأتأكد أن أمي حين قالت فأر حلاوة كانت تؤكد أنَّني أدخل العُلْبَة وآخذ الْحَلْوَى وأهرب لبئر السُّلم،

قلت: "أحبها". قالت: "أَعْلم". أعطتني قطعة أخرى، ظللت أقضمها بأسناني، ولاحظتُ أنَّه يصدر مني صوت يشبه صوت أسنان الفأر.

رُوح مُعَلَّقة

رَنَّ الهـاتف فارتجفـتُ، إذ أن أختي في المستشـفى بجانـب أمـي، همستْ لي: "أمك تريدك الآن". أصابني بكاء مكتوم وسخونة شملتْ جسدي، قلت لها بحزن: "ماتت؟". قالت: "هي بخير، لكنها تريدك".. غسلتُ وجهي وأغلقتُ دكاني وذهبتُ تملؤني الرَّعشة.

رأتني أختي قادمًا مضطربًا بشدّة فأسرعتْ لي وطمأنتْ روحي، رأيتُ الطَّبيب خارجًا من عند أمي يبتسم، فزالتْ السُّخونة من جسدي وحطَّتْ على روحي سَكِينة، قال: "أنت عبد الهادي؟". قلت: "نعم". قال: "أمك لا تريد أن تأكل إلا من يديك، ادخل لها". ولَمَسَ كتفي بدِفْء وسَار.

جلستُ جانبها ومسحتُ شعرها الفضة الخالصة ففتحتْ عينيها ونظرتْ لي فرأيتُ شوقًا لاحتضاني محبوسًا يكاد يقفز ويقبلني واحتواني الحَنَان، كاد قلبي يقفز ويُقبل يدها لكنني لم أُردْ ازعاجها فتركتُ يدها تتدفَّأ تحت الملاءة، وتحركتْ عيني للطعام ففهمتْ وقالت: "ليس الآن، فقط ضع يدك كي أغفو قليلاً". حين وضعتْ خدها الحرير على كفي غَفَتْ كطفلة، فنظرتُ لوجهها البريء ورأيتها تَحْلم بأشجار المانجو التي تحبها، وتَشُم رائحة النَّعْنَاع وتحرّك لسانها كمتذوقة لعسل النَّحْل المُصَفَّى وابتسمتْ من شبع، وهَفَّتْ عليها نسمة طريَّة فكدتُ أغفو وأسحبْ يدي، لكن النّعمة التي

كانت فيها جعلتني أُصِر على ترك يدي وعدم الحركة حَتَّى لو لدغني ثعبان، فقد رأيتها تَشُم عبير الزهور وتبتسم، وارتجفتْ عيناها للحظة كأن أحدًا أزعجها، لكنها عادت سريعًا للتَبَسُّم، كانت عيني يصيبها الثِّقل اللذيذ من إحاطة روائح الورود واتساع الحدائق والبساتين وكأن نهرًا يجري في الأفق .

دخلتْ أختي فابتسمتْ حين رأتْ أمي نائمة وهمستْ: "الحمد لله أنها غَفَتْ، فهي لم تنم منذ يومين".

أحاطتني السَّعادة حين أغلقتْ أختي الباب وخرجتْ وتركتني في النَّعيم، إذ كنتُ أشعر كأب تنام أمه على كف يده، نظرتُ لوجهها النَّاعس الجميل وكأنّي أول مَرَّة أرى هذا البياض المُشِع، ولم أعرف من أين جاءها هذا النُّور حَتَّى كادت أن تضيء في غفوها المبهر، بيدي الأخرى مسحتُ على شعرها الفضة فلمسني الدِفْء وراحة الرُوح، وقلت: "أمي، أمي". فكأنها ابتسمتْ لي في نومها الجميل، فتركتها في جنتها تنعم بالرحمة والمانجو ورائحة النَّعْنَاع.

دخلتْ أختي علي أطراف أصابعها وهمستْ: "الطَّبيب يريد أن يطمئن". أشار لي أن أظل كما أنا، فلم أحرك يدي من تحت خدها، وبخفَّة طائر أمسك يدها وراح يقيس نبضها الغالي.. دوم، دوم، دوم. ثُمَّ وضع يدها بهدوء لذيذ ورَبَتَ على كتفي وهمس: "أنت محظوظ، لقد كانت روحها في انتظارك".

لم أسحبْ يدي من تحت خدها وامتلأتْ روحي بالدموع وبالرحمة والمانجو ورائحة النَّعْنَاع.

مِسْك الأَبَد

للمسجد قداسة، خلعتُ حذائي ودخلت، سَلالم المسجد مغطَّاة بسجاجيد خضراء بطعم النَّعْنَاع النَدِي، حين رأيت آنية الخَزَف مملؤة بالْمَاء؛ شربتُ طعم النَّعْنَاع مخلوطًا بالليمون وابتسمتُ للرجل العجوز الذي رفع غطاء الإناء ووضع داخله قطرات من ماء الورد فشربتُ طعم البساتين وظَلَّت رائحة الورد في فمي.

دخلتُ لأتوضأ فرأيتُ عجوزًا لحيته نصف متر، بيضاء كشمعة، ينثر الْمَاء على شعر لحيته ويبتسم، أفسحَ لي مكانًا فتوضأتُ وصعدتُ السَّلالم، إذ أن المُصلى كان في الدّور الأول العلوي.

قرأ الرَّجل آيات من سُورَة مَرْيَم فانفطرتْ روحي وحَنَّتْ لطعم الخلود، حين انتهتْ الصَّلاة بدأتُ أرى ما حولي.

رأيتُ إضاءة المسجد تخفتُ قليلاً وتعطي انطباعًا بوقت السَّحر ورائحة الفجر، مع أن الوقت كان عشاء، كنا جميعًا نجلس في خطوط متوازية، جاء رجل ووضع عَصَوات رفيعة على أكتافنا في خطوط مستقيمة، بحيث تلامس أكتافنا جميعًا، فصرنا مُرَبَّعًا داخله خطوط متوازية، كلها متلاحمة في تناسق غريب، وكأنَّنا جميعًا أطوالنا واحدة.

خَفَتَتْ الإضاءة أكثر وكنتُ في منتصف المسجد، وشعرتُ أنَّني واصل متصل بكل من حولي عن طريق العَصَوات الطَّولية، وحين اهْتَزَّ كتفي تأكدتُ أن الهزَّة وصلت للجميع وأنهم علموا أنَّني تحركت؛ فَثَبَتُ.

تقدَّم الرَّجل الطَّويل المهيب الذي يرتدي عباءة بنية يحوطها من الجانبين خيط ذهبي رفيع، ويضع على رأسه غطاء يُخْفِي جزءًا كبيرًا من وجهه ولم أر غير لحيته السَّوداء يخالطها شعيرات بيضاء.

جَلَسَ على الأرض يداه على فخذيه، وصمتَ فترة شعرتُ أنَّها طالت، حَتَّى أنَّني سمعتُ دقات قلبي وقلوب من حولي، حين قام وسَار بهدوء ناعم كنت أشعر أن قلبي يصرخ، وراودني إلحاح أنْ أقوم وأترك ما يحدث لكني بقيت.

مَشَى لنهاية المسجد، بالتحديد عند ملتقى العَصَوات، ولَمَسَ المثلث الذي يجمع أطراف العَصَوات، شعرتُ بطرف أصبعه يلمس كتفي على الرّغم من بُعْد المسافة بيننا، ولمحتُ الرَّجل الذي بجانبي ارتجف واقشعر من لمسة اليد البعيدة.. ذهبَ لنهاية الطَّرف الآخر عند المثلث الذي في اليسار وقال: "بسم الله".

بدا قلبي كفقاعة نَطَّت من صدري ووقفتْ على كتفي، تستشعر كل اللمسات التي يقوم بها الرَّجل بكامل طاقته الحنان، إذ أنَّني شعرتُ أن يدًا تربتُ على قلبي مع كل لمسة من يده وهمسه المتصاعد "الله

الله الله" شعرتُ أن قلبي واصل متصل بقلوب الجميع، كأن شعرة من حرير تخيط قلوبنا جميعًا، وأن اهتزازًا رهيفًا يجعل قلوبنا ترتجف.

"الله الله الله" شَقَّتْ القلوب ورجَّت أغوار النُّفوس وطرقتْ بشدَّة على أرواحنا، اهتزَّتْ روحي وصرنا كسطح ماء متوتِّر، نهتز جميعًا في حركة واحدة وطَفَّت روحي.

ضَرَبَ ضربتين على وتر قلوبنا وقال: "حي حي حي". انشقَّتْ روحي وصِرتُ ذَرَّة تَلِفُّ وتدور في فراغ الكون "حي حي حي" بكل طاقة روحي نَزَّ عرقي غزيرًا، وشعرتُ أن المسجد قد امتلأ بعرق الجميع، وأن أرواحنا بدأت تتخلَّص من كل الأدران وأن صَفْوًا روحيًا خالصًا طاهرًا طَفَا على الجميع.

أنا أرتجفُ بشدَّة، أُلقي كل أدران حياتي مَرَّة واحدة "حي حي حي" أدفع كل أخطائي وكل فضائحي على العَصا التي فوق كتفي حَتَّى تسقط على الأرض، لم أعد أشعر بمن حولي، إذ أنَّني كنت أدور في فراغ بديع شفَّاف، فقط تحوطني كلمة واحدة "حي حي حي" فأرغب بشدَّة في الخلاص من ثقل جسدي والاتكاء على روحي حَتَّى أتَحَوَّل لريشة شفَّافة بلا وزن.

اسْتَقَرَ أصبعه على طرف العَصا فحدث سكون رهيب وغمرني العَرَق، وشعرتُ أن نبض يده يدخل قلبي، وأن أنامله تلمس جدار

قلبي المُسْتَقِر على كتفي، ورأيتُ أن السَّكينة قادمة فبدأتْ نبضات قلبي تتمهَّل، وصار العرق طراوة تغمر كياني.

بقوة وبلا مقدمات ضَرَبَ العَصَوات فَوَتَّرَها بعنف وهو يردِّد: "قيوم، قيوم، قيوم". وحدث زلزال وأصابتنا جميعًا الكهرباء الدَّاخلية وشعرتُ أنَّني أجلس على مروحة تلفّ بي ساحة الأرض، مروحة تشفط هواء روحي وتُخْرِجَه نسيمًا رائقًا لمن حولي، وصرنا جميعًا نَلِفّ وندور ككواكب سيَّارة وصوته يعلو "قيوم، قيوم، قيوم".

قَبَضَ على العَصا بيد وحيدة وقَبَضَ على قلبي وصارتْ روحي راغبة في الانعتاق والطَّيران من أثر الدُّوَار، قلت: "يا رب". وسمعتُ من حولي يقولون بلا صوت "يا رب" فعلا صوته: "غفور، غفور، غفور". فنزلتْ من عيني دمعة ساخنة وأصابتني نعمة الخلاص ورحتُ أردِّد: "غفور، غفور، غفور". وسمعتُ أصوات من حولي في تناغم متصاعد بلغ قمة الانسجام "غفور، غفور، غفور" صوت واحد متحد موحد، فقال دون أن يلمس شيئا: "توّاب، توّاب، توّاب". فارتفع نشيجنا وزاد بكاؤنا وعَلَتْ أصواتنا كأصوات طيور العالم "غفور، غفور، غفور".

اقترب من منتصف العَصا وأمسكها بكلتا يديه فشعرنا أن ثقلاً حَطَّ على أكتافنا، وزعق: "جَبَّار، جَبَّار، جَبَّار". صرخنا وولولنا وبان أن قلوبنا ستتمزَّق وأن أرواحنا ستتشقَّق، وأن أسياخًا حامية

تطاردنا "منتقم، منتقم، منتقم" يا ويلنا من ينقذنا؟ من يخلصنا؟ أين المَفَر وأين المُرْتَجى؟ أليس هناك ثُقْبٌ يمكننا النفاذ منه والولوج لطعم الهواء.

حين سقط واحد مغشيًّا عليه فاقدًا الوعي زَلْزَلَنَا سقوطه، وسَقَطَ قلبي في بئر بلا قرار وشعرتُ بالهاوية وأني سأُسْحَق الآن وأنَّه لا مفر "منتقم، منتقم، منتقم" سقط آخر.

ارتعشتُ بشدَّة وبدأتُ أَنْهَار، يا منتقم يا جَبَّار يا تواب يا حَنَّان يا منَّان وبدأتْ روحي تستقر ويطفو عليها الرَّحمة، يا رحمن يا رحيم يا غفور يا غفار يا حليم.

وأنا غارق في العرق أُردِّد يا تواب يا تواب، مَرَّ عليّ رجل وأعطاني تَمْرة، حين وضعتها على لساني تذوقتُ عسل الحياة، وعلمتُ أني حي وظللتُ أَمْتَصُّ عسل التَمْرة، ونزلتُ السَّلالم وشربتُ من نَعْنَاع وليمون الآنية الفخارية، وأنا أرتدي حذائي لأخرج وجدت الرَّجل ذا اللحية البيضاء يبتسم لي ويمد يده لي فمددت يدي فأعطاني قطرات من زجاجة مِسك، ظَلَّت رائحتها في روحي للأبد.

يُوسُف إدْرِيس

فارعًا، جميلاً، مهيبًا، مضيئًا، دَخَلَ يُوسُف إدْرِيس نادي سبورتنج، كنا نقف صفًّا لاستقباله، سَلَّم وأنا أقف في المنتصف، أرقبه قادمًا نحوي، هل سيمد يده ويضع يده في يدي؟ أنا الوحيد الواقف بقميص قديم وسط مجموعة من الملابس اللامعة، ماذا سأفعل إذا تجاوزني؟ يكفيني أنه مَرَّ من أمامي وأكون قد اقتربت منه.

لأنَّه لم يقرأ لي ولم يعرفني فقد نظرتُ إليه قادمًا نحوي كَنَجْم يقترب ليشع ضوءًا بهيًّا، مدَّ يده.. نعم، هذه يده تمتد لي، رُبَّما غَرَقْتُ في العرق والرَّبْكة، وأغمضتُ عيني للحظة لأستوعب يده الكبيرة التي ما زالت في ارتفاع صدري.

هل تحركتْ يدي دون أن أدري واحتضنتْ يده؟ لأنَّه رَبَتَ على كتفي فقد مَسَّني السِّحر وتأكدتُ أنَّه مليء بالكهرباء، قال: "اسمك؟" قلت: "شعلان" .. مَرَّ وابتسم لي ابتسامة منحتني الضَّوْء.

جَلَسَ إلى المِنْضَدة وراح يتحدث وأنا جالس أمامه مباشرة، أرقبُ حركات عينيه وابتساماته للجميع، وإيماءاته الذَّكية، ونظرته للفتاة

الجميلة، وتركيزه المهيب، لم أترك حركة إلا واحتجزتُها في مخيلتي، واحتفظتُ بها في قلبي، كنت أريد أن أحبس روح يُوسُف إدْرِيس داخل روحي، بكل تفاصيله، ولاحظت أنَّني لم أُحَرِّك رأسي طوال ساعتين وأنَّني بقيت مصلوبًا أمامه.

حين قام ورحل وسط أشجار نادي سبورتج يحيطه الورد والخضرة، نظرتُ لقميصي القديم وشعرتُ بالامتلاء وأنا أنظر ليدي محتفظة بطاقة يُوسُف إدْرِيس حين مدَّ يده وسَلَّم عليّ ورَبَتَ على كتفي.

عِنَب العَصَافِير

نَـدَى الصُّـبح عَطَّـر الجـو، وغشـاوة النَّـوْم جعلتني أَحِـسُّ زقزقـة العصـافير عنـد نافـذتي، بـدون أن أغسـل وجهي توجهـتُ مباشـرة لقلب الثلاجة، غرستُ يدي في أحشاء عنقود العِنَب، قبضتُ على حبات وأكلتُ وقذفتُ للعصفور حبتين.

رأيتُ أمي وأخي، قال أخي: "صباح الخير".. خرجتْ أمي بطبق العِنَب وأعطته لأخي قالت له: "كُل". نظرتُ في الطَّبَق، كانت حبَّاته صفراء يشوبها خَضَار لذيذ، والعنقود كأنَّه خرج من تكعيبة الجَنَّة توًا.

نظرتُ لعين أخي وهو يأكل حَبَّة، كأنَّ حلاوتها غاية في اللذَّة، وكأنَّه لعق ملعقة عسل نحل على الرِّيق، تذكَّرتُ أن الحَبَّات التي أخذتها أنا كانت مُتَرَهِّلة وغير طازجة، ونظرتُ للعِنَب في يد أخي فوجدته يبرق كسبيكة ذهب، قلت لأمي: "من أين أتيتِ بهذا العِنَب؟!" قالت: "من نفس المكان الذي أخذتَ أنتَ منه، من قبل أن تغسل وجهك، ومن قبل أن تقول لي صباح الخير". قلت: "أنتِ تفضلين أخي". وكان قلبي يعلـم أنـي أكـذب. قالـت: "سـامحك الله، سـامحك الله".

فاستيقظ أبي وقال: "ماذا جَرَى؟". خِفْتُ وقلت: "لا شيء". رَفَعَ يده فارتعدتُ وظننتُ أنه سيصفعني، لكنَّه وضع يده على خدي وقال: "ماذا بك؟". قلت: "لا شيء". أخذني في حضنه فقلت: "أنا حزين". قال: "الحزن الحقيقي يُطَهِر الرُوح ولا يدركه كل النَّاس".

ارتديتُ ملابسي وأغلقتُ الباب ورائي، سمعتُ أمي تناديني، لم أقل شيئًا والتفتُ إليها بكل حزني فأخرجتْ من وراء ظهرها عنقود عِنَب أصفر خالصًا ووضعتْ في فمي حَبَّة وقالت: "أنا أحبك". أخذتُ العنقود وطعم الحياة صار في روحي عسل نحل.

جريتُ في الشَّارع وناديتُ على العصافير وظللتُ ألقي لها العِنَب في الهواء، والعصافير تلتقط الحَبَّات وتضحك، تضحك وتتكاثر فوقي حَتَّى صارت كمظلَّة تحجب عن قلبي حَر الشَّمْس، وأنا أغنِّي وألقي للعصافير آخر حَبَّة من عنقود العِنَب الذي قطفته لي أمي من تكعيبة الجَنَّة.

شَمْعَة تُضِيء الرُّوح

في الليل، أقفُ في منتصف غرفتي المُضَاءة وأرقصُ على صوت الهدوء، ألفُّ وأدور حَوْل روحي وأرمي كل هموم العَالَم وراء دوراني، لكني أعشق الظُّلْمة وأحب أن أرى العَالَم من وجهة نظر أعمى فأفعل الآتي: أُخرجُ العصابة من جيبي، وأَلِفُّ بها كل رأسي وأنا أدور، حَتَّى لا ترى عيني النُّور، وأضحك في الظَّلام وأدور كأنِّي واقف على عتمة الكون وسحاب العَالَم الأسود، وأكون نَجْمَة في السَّمَاء المظلمة وأغنِّي وأسمع صوتي نقيًّا رائقًا، وأقول لروحي إنَّ العميان في نعمة لا يعرفونها، فهم القادرون على السِّباحة في غموض الحياة وهم القادرون على رؤية حقيقة الظَّلام، الحقيقة الشَّفَّافة في هذه الدنيا، أبتسمُ وأغوصُ في الظَّلام فأمسكُ العصابة وأكاد أسحبها من فوق عيني لكني لا أخلعها، إذ لو رفعتها لوجدتُ حدودي الضَّيقة التي أعيشها في محيط غرفتي المحدودة.

أتمنَّى أن أكون عصفورًا، فأفرد يديَّ وأطير في الظَّلام البنفسجي، وأرى دقائق نور حولي كنجوم، فأُمْعِنُ البصر في الظَّلام فتسحبني دقائق النُّور حَتَّى أكاد أخبط بجناحي في الحائط، فأتحوَّل لسمكة

في عمق ظلام الْبَحْر، أجدف في طبقات الظُّلْمة بزعانفي وأبتسم لتَمَوُّج الظُّلْمة حولي.

أضع يدي فوق العِصابة لأنتزعها حَتَّى يَدْخُلني النُّور ويغمرني، فأتردَّد وأكاد أتَحَوَّل لثعبان أعمى يزحف فوق حشائش الغابات، لكني أكره أن أكون ثعبانًا، أحَاوِل أن أنتزع جلد الثعبان وأتحوَّل لفراشة فلا أستطيع، ويغمرني سواد رؤية الثُّعبان الأعمى، ويملؤني شعور قاتم أنّي أصبحت ثعبانًا، فأمد يدي وأنتزع العِصابة من فوق عيني.

أين النُّور؟ لقد نَزَعْتُ العِصابة وها هي أصابعي أمام عيني وأنا لا أراها، أين الضَّوْء المُبهر؟ من أين حَلَّت تلك العتمة؟ كادت الظُّلْمة تصيبني بالدُّوار، لكني دُرت نصف دورة فرأيت الظَّلام عميقًا، قاحلاً، غائرًا، يسحبني للداخل ويرميني في بئر لا قرار لها، ظلمة كقبر كافر، ودوَّامة بحر عنيفة، وشعرتُ أني أهوي من سماء بعيدة، فأرتَطِم بقرار الصُّخور ولمستُ وجهي وتأكدت أن عيني مفتوحة، إذ إنَّ أصابعي فَتَحَتْ جفوني بقوة وصرخت، لقد صِرْتُ أعمى، أعمى.

للحظة لمستُ دمعة تحدَّرت من قلب عيني فتأكدتُ أن عيني حَيَّة لم تمت، وشعرتُ برِعْدة في ركبتي وارتجافة عارمة شملتْ كل وجودي، وسقطتُ على الأرض أتحسَّس السِّجادة التي أعرف رائحتها جيدًا، ومشيتُ على أربع كحيوان، إذ إنَّ قدمي لم تعد تستطيع

حَمْلِي، ولم أكن قادرًا على التَّقدُّم خطوة للأمام، خطوة وحيدة سأخطوها وأنقذفُ في بئر يثقب الأرض ويلتهمني حَتَّى أخرج من باطن الأرض لظلام الكون.

ظَللت أزحف على أربع، وتأكدت أني أصبحتُ أعمى، لمستُ وجهي مَرَّة أخرى، ورطمتُ رأسي بيديّ وتأكدتُ أني تحوَّلت لثعبان أعمى يزحف على سجادة مبلولة من كوب شاي لم أُزل آثاره منذ الصَّباح الفائت، شَمَمْت رائحة الشَّاي ورفعتُ رأسي، كانت بؤرة نور منتشرة في الظَّلام تسحبني وتخطفني فأغمضُ عيني وأفتحها وأحدق، أحدق.

هناك شعاعٌ من ضياء كخيط رفيع، يأتيني من شِقٍّ بعيد، وقفتُ وانقذفتُ ناحيته ومدَدْت يدي، كان الشُّعاع يدخل من نافذة المنور دافئًا وحنونًا، فتحتُ النَّافذة، كانت جارتنا توقد شمعة، وصلني شعاعها فأعاد لروحي الحياة، أغمضتُ عيني فاختفى الشُّعاع، وحين فتحتها ورأيت الشُّعاع وضعتُ يدي أمام وجهي فرأيت خمسة أصابع تتراقص مع ضوء الشَّمعة، ضحكتُ وقبَّلتُ كفي ولم أهتم حين انسحب ضوء الشَّمعة من المنور وصارت الدنيا ظلامًا، إذ إنِّي دخلتُ غرفتي وقدمي في غاية الثَّبات، أتحرَّك في الظَّلام مطمئنًا أني سأجد شمعة وأوقدها لأبدِّد هذا الظَّلام.

كَلْب أَخْضَر يَعْرِف اسْمِي

ربطتُ قطعة الشِّكُولَاتة في خيط رفيع، وصعدتُ لسطح البيت، وزحفتُ حَتَّى وصلتُ للمنور، كان الكلب أخضر حرًا طليقًا بلا حبل يطوِّق عنقه، محبوسًا بين جدران أربع، نظرتُ لأسفل، كانت رأسي فقط تتابعه، إذ إنَّ جدران المنور بغير سور، دَلَّيْت له الخيط الرَّفيع بعيدًا عن الرُّكن الذي يقبع فيه، حين رآها رفع رأسه ورآني، هزَّ ذيله وانتفضَ يجري لقطعة الشِّكُولَاتة فسحبتُ الخيط.

شاهدناه صباح الجمعة، عند تُرْعَة المحمودية جانب الشَّجَرة الكبيرة، التي أمام المسجد، يَطُوف حَوْل الشَّجَرة يبحث عن شيءٍ ما ثُمَّ ينظر لأعلى الشَّجَرة، حيث كان عصفورًا أخضر يغنّي، فاقتربنا منه وظلَّ يَطُوف وهو ينظر للعصفور ويُصْدِر من فمه ما يشبه المُنَاغَاة، مَسَحْتُ شعره فلمستُ حريرًا خالصًا، قال أيمن: "أنا أحب الكلاب الخضراء". ووضع في عنقه الطَّوْق ورَبَطَه جانب الدرَّاجات التي يؤجرها للأطفال.

الكلب الأخضر أمامه طبق مليء باللحم النيئ لكنه لا يأكل، ويهز الطَّوْق الذي في عنقه بحزن وهو يتابع الأطفال وهم يطيرون

بالدَّراجات على الإسفلت كعصافير خضراء، ورأيت في عينيه دمعة تلمع.

اقتربتُ منه ومَسَحْتُ شعره الحرير وأخرجتُ قطعة شِكُولَاتة من جيبي ووضعتها جانب طبق اللحم النيئ، فمدَّ لسانه الأخضر وراح يلعق بدِفْء وابتسم لي.

أيمن لا يفك الكلب الأخضر إلا عند أذان العشاء، عندما يربط جميع الدَّراجات بجنزير سميك، يأخذ الكلب ويدور به في الشَّوارع كي يتبوَّل على الجدران، لكنه لا يتبوَّل، فيعود به أيمن ويضعه في منور البيت محبوسًا بين جدران أربع.

لم أنم الليلة إذ إنَّ هوهوته صارت أنينًا في روحي، وسمعتُ اسمي من بين هوهوته مَرَّات كثيرة، كأنَّه يريدني، فقمتُ وأحضرتُ قطعة الشِّكُولَاتة التي نسيت أن أعطيها له اليوم، وقلتُ أُدَلِّيها له بخيط رفيع حَتَّى لا تَتَفَتَّت إذا ألقيتها من السَّطح لقعر المنور.

سطح البيت بلا سور، فارتجفتُ وأنا أصعد والظَّلام يملأ العَالَم، فاجأني ضوء القمر أنه مسلَّط على المنور تمامًا، وظَلَّ الكلب الأخضر يهوهو وينادي اسمي ويدي حَنَّت لشعره الحرير.

دَلَّيْتُ قطعة الشِّكُولَاتة بعيدًا عنه، وحين اقترب سحبتُ الخيط؛ أداعبه، فرفع عينه ونظر لي بفرح وسكنتْ هوهوته الحزينة، فرفعتُ قطعة الشِّكُولَاتة أكثر فَشَبَّ على قدميه الخلفيتين وحَاوَل

أن يمسكها، لكني جعلت فاصلاً بينها وبينه وأشرتُ له بيدي: اصعد. ثَبَّتَ قدميه في الحائط وسحبَ جسده قليلاً قليلاً لأعلى وكاد أن يلمس الشِّكُولَاتة، فسحبتها قليلاً قليلاً فأشار بيده: انزل، فأشرت: اصعد، وسحبتُ.. ظلَّ يرتفع ناحيتي متشبثًا بالحائط، خطوة وخطوة وصَعَدَ على الحائط.

القمر فوق المنور تمامًا وأنا أسحبُ الخيط ببطء والكلب الأخضر يصعد بكل روحه ناحيتي فكدتُ ألقي له الشِّكُولَاتة في المنور، لكن قلبي ظَلَّ يسحب الخيط حَتَّى اقترب مني، وبقي بيني وبينه ذراع، فمدَّ يده لي فأمسكت يده وسحبته حَتَّى صار جانبي على سطح البيت يأكل الشِّكُولَاتة، وأنا أمسح شعره الحرير والقمر يظللنا حَتَّى غَلَبَنا النُّعاس.

فتحتُ عيني فلم أجد القمر ولم أجد الكلب الأخضر، نظرتُ في المنور فرأيت الفراغ، نظرتُ حيث كان يجلس فرأيتُ الخيط فارغًا تمامًا من الشِّكُولَاتة، دُرْتُ حَوْل السَّطح فلم أجده، نزلتُ أجري في الشَّارع فأتاني أذان الفجر ناعمًا رقيقًا، فنظرتُ حيث الشَّجَرة التي أمام المسجد كان هو يطوف حولها.

حين اقتربتُ منه نَظَرَ لي وابتسم وتركَ الطَّواف حَوْل الشَّجَرة واتجه ناحية تُرْعَة المحمودية وراح يسبح عابرًا للشاطئ الآخر حيث العصفور الأخضر يقف هناك يغنِّي ويغنِّي ويصدر من فمه ما يشبه المناغاة.

شَجَرة عَصَافِير بُرْتُقَاليَّة

انطلقَ طائر من صدري ووَقَفَ على شجرة العصافير التي أمام بيتي، أحضرتُ سُلمًا وصعدتُ الشَّجَرة؛ لأني شعرتُ أن جفافًا أصاب روحي حين غادر الطَّائر صدري، لمَّا أحسَّت العصافير بقدومي طارت بعيدًا وكانت كلها برتقالية، أكملتُ صعودي فوجدتُ عصفورًا برتقاليًا صغيرًا يَرِفُّ بجناحيه الضَّعيفين ولا يستطيع الطَّيران، مدَدْت يدي وأخذته فلم يصوصو، لكني رأيت العصافير البرتقالية تحوط الشَّجَرة وتنظر للعصفور الصغير.. حين سحبتُ يدي زادت صوصوة العصافير فلم أهتم وأخذته ووضعته داخل صدري وأغلقتُ عليه وعدتُ لغرفتي.

نمتُ عاريًا على الرِّمَال وأغمضتُ عيني، حين سمعت صوصوة العصافير طار الخَدَر اللذيذ الذي كان يملؤني، ظلَّتْ العصافير البرتقالية تَلِفُّ وتطوف فوقي وصنعتْ غيمة تظللني، استمتعتُ بظلال العصافير وكدتُ أغفو مَرَّة أخرى لكن العصافير اتجهتْ ناحية صدري، فقمتُ ومسحتُ صدري وتأكدتُ من صوصوة العصفور داخل صدري فاطمأن فؤادي ونمت.

حين استيقظتُ، وجدتني على الشَّاطئ وحيدًا، وحولي العصافير البرتقالية تحيط جسدي، وهي تنظر لعصفور منها وضع رأسه على صدري، وراح يسمع ويصوصو.

أعطتني أمي عصفورًا برتقاليًا وقالت لي: "لا تحبسه في قفص". فرسمتُ فوق صدري شُبَّاكًا مفتوحًا ووقفتُ في غرفتي عاريًا وأغلقتُ كل النَّوافذ وأطلقتُ عصفور أمي، فطار في الغرفة ثُمَّ نظر للشباك المفتوح في صدري وطار كقذيفة ودخل صدري.

حين رأت أمي القفص المفتوح على صدري؛ سَحَّتْ من قلبها دمعات، ومسحتْ بدموعها الشُّبَّاك فلم تستطع مسحه، وظلَّت تنظر داخل الشُّبَّاك المفتوح وغابت بعيدًا ثُمَّ رَبَتَتْ على صدري وقالت: "هذا مكان آمن لعصفور برتقالي".

في صباح الشِّتاء الباكر أقف أمام الشَّجَرة الفارغة من العصافير وأفتح صدري، انطلق عصفوري ووقف على الشَّجَرة وظل يصوصو حَتَّى أتت عصفورة برتقالية فأشار للشباك داخل صدري وانطلقا سويًا ناحيتي حيث فرشتُ عُشًا كبيرًا يسع شجرة عصافير برتقالية.

الصِّرَاط

يمتد إلى ما لانهاية، حادًا كشعرة، مرسومًا بشعاع أبيض لا تراه العين، وقفنا عند بدايته أنا وهو وبدأنا المسير.

يسير أمامي برهافة وتَوَلُّه ولا يحيد عن حد الشَّعرة، ثُمَّ إن بصره كان ثابتًا ولا ينحرف عن نهاية لا يراها ولا يعرف لها آخر.

أنا وراءه أشاهد ظهره المستقيم كنخلة، وحين أنظر للخط الرَّهيف كنت أراه مرتفعًا فوق تُرْعَة هائلة، تَمُوج بماءٍ حار لونه دموي، مِمَّا جعلني أخشى السُّقوط فَسِرْتُ وراءه مرعوبًا.

كأنَّني أغلقتُ عيني لحظة ونسيتُ ظهره والشَّعرة ونظرتُ جانبًا فرأيتُ طريقًا آخر فلم أصدِّق، إذ إنَّه كان طريقًا واضحًا جدًا إلى يمين الصِّرَاط فراودتني روحي أن أترك السَّير وراءه وأُجَرِّب الطَّرِيق الذي بَدَأَتْ ألوانه الرَّائعة تنعشني فأغلقتُ عيني.

حين فتحتُ بصري وجدتني لا أسير خلفه، بل أكاد أتقدَّمه، وصار الطَّرِيق الذي سلكته شفافًا فظللتُ أسير، أسير، راغبًا في رؤية الشَّمعة التي بدأت تظهر في نهاية الطَّرِيق ووجدت روحي مُنْتَشِيَة، لأنني أرى النهاية.

كَيْف تَصْطَاد خُيوط الشَّمْس

في الرَّابعة عصرًا، يجلسُ جَدِّي يرتشفُ قهوته ويدخن سيجارته أمام الشَّجَرة الكبيرة التي يصدح قلبها بزقزقة كل عصافير الدنيا، يُصَفِّر بصوت يملأه الشَّجن؛ فتأتي كل العصافير بألوانها البهيجة، وتقف واحدة واحدة على سور الشُّبَّاك، فيبسط لها يده الممتلئة بحبَّات الأرز، فتنقر العصافير يده، فيضحك من نكزات مناقيرها لكف يده، وتأخذ كل عصفورة حَبَّة واحدة وتنطلق مَرَّة أخرى لقلب الشَّجَرة، وتظل الزَّقزقة تنعشنا للأبد.

في الرَّابعة عصرًا، أجلسني جانبه ورَشَفَ قهوته ووضعها على سور الشُّبَّاك ثُمَّ أخرج الدُّخان وراح يَلِفُّ السِّيجارة ثُمَّ أمسك عدسته المُكَبِّرة وقال: "انظر". وراح يحركها حَتَّى تجمَّعتْ بؤرة من الضَّوْء المُرَكَّز على حافة السِّيجارة، ابتسم وهو يشير لنقطة الضَّوْء وقال: "هكذا تصطاد خيوط الشَّمْس، انظر". ورأيتُ السِّيجارة تَتَفَتَّق عن اشتعال دافئ، وراح هو يمتص رحيقها فيزيد اشتعالها وهو يبتسم وظل يكرِّر: "هكذا تصطاد الشَّمْس".

في الرَّابعة عصرًا، أَخْرَجَ من جيب قفطانه الواسع كتابًا مليئًا بالصور وراح يُقَلِّب صفحاته وابتسم، وعند صورة الحصان الأبيض توقف وقال: "اركب". ابتسمتُ وهززتُ رأسي فقال: "بسرعة".. لم أتحرَّك وظللتُ أنظر ليده وهي تنزع الحصان من قلب الكتاب ثُمَّ إنَّه قال لي: "الآن". وألقى بالورقة في وسط خيوط الشَّمْس فانطلق الحصان يجري بعيدًا بعيدًا، حَتَّى دخل في قلب الشَّمْس وأنا أنظر مسحورًا أردِّد: "الحصان، الحصان".

في الرَّابعة عصرًا، رَسَمَ بالقلم الرَّصاص صورة سمكة على ورقة بيضاء وقال: "أليست جميلة؟". قلت: "أنا أحب السَّمك الملون". قال: "ما تتمنَّاه ستحصل عليه، فقط انظر جيدًا". وأعطاني ورقة فرسمتُ سمكة وسمكة ولونتهما بالأخضر فسحبَ طبقًا مليئًا بالْمَاء الرَّائق ووضعه على سور الشُّبَّاك وقال: "ألق بسمكك في الْمَاء". قلت: "الرَّسم سيفسد". فألقى رسمه في الْمَاء فرأيتُ سمكته تتحرَّك وتبتسم له فقال: "الآن". فألقيتُ رسمي في الْمَاء وقلبي يرتجف فانتفضتْ السَّمكتان الخضراوان وتحركتا في الطَّبَق، دَفَعَ يده في الطَّبَق فأمسكَ سمكته وألقاها بين خيوط الشَّمْس فطارت بعيدًا، بعيدًا وأنا لا أصدق، فدفعتُ يدي في الْمَاء وأخذتُ السمكتين وألقيتهما في الهواء، فسقط الورق ممزقًا نِدفًا صغيرة فقال: "سنبدأ من البداية، ينبغي أن تَتَعَلَّم كيف تصطاد خيوط الشَّمْس" وأعطاني العدسة وقال: "جَرِّب".

في الرَّابعة عصرًا، لم أذهب له عند الشُّبَّاك وأخذتُ طبقًا مليئًا بالْمَاء الرَّائق ووضعته تحت السَّرير وزحفتُ مُغْلقًا عليَّ ملاءة السَّرير من فوقي، عدا ثقب وحيد يدخل منه شعاع نور، أخرجتُ صورة العصفور من جيبي ووضعتها في الْمَاء وأغمضتُ عيني كما يفعل جَدِّي وتمتمتُ وفتحتُ عيني فلم أجد العصفور في الطَّبَق ورأيته ينطلق عبر ثقب النُّور الوحيد متجها ناحية شعاع الشَّمْس الذي كان جَدِّي يصطاده الآن.

في الرَّابعة عصرًا، لم يكن في البيت غيري أنا وأخي، اتفقنا أن نلعب سويًا "استغماية"، حين وضعتُ وجهي في الحائط وأغمضتُ عيني كي أترك له فرصة الاختفاء، لم أسمع صوته فتأكدتُ أنه اختفى، فبحثتُ عنه في كل البيت، فلم أجده، فقلت لعله اختفى عند العصافير فذهبتُ للشجرة، لم أجده لأنه كان في الشَّارع، يُخْرِج لي لسانه وهو يلعب مع أصدقائه، فشعرتُ بوحْدَة لم أشعر بها أبدًا وملأني الحنين والشَّوق للتواصل.

دخلتُ تحت السَّرير وأخرجتُ الطَّبَق الممتلئ بالْمَاء الرَّائق وأخرجتُ صورة أخي التي نزعتها من البرواز ووضعتها في الْمَاء وسدَدْت كل منافذ النُّور وأغلقتُ عيني وتمتمتُ، حين نظرتُ كان هو يُحَاوِل الخروج من الْمَاء والطَّيران بعيدًا، بعيدًا، لكنه لم يجد أي شعاع يهرب عليه فاضطر مُجْبَرًا أن يجلس جانبي ويلعب معي كل الألعاب التي أحبها.

جَامِع الْمَاء

أنا والْبَحْر وجهًا لوجه، وأبي يجلس تحت المِظَلَّة لا يقرأ الجريدة، ويشرب العصير ولا يتحدث مع أمي الجالسة تنظر لي، وأنا أقلِّب جسدي على رمل الشَّاطئ لا أعبأ بالأصداف التي تنغرز في جلدي، وأنتظر مجيء الموجة كي تغسل جسدي من كل الرَّمل اللذيذ الذي لصق بوجهي وجسدي، أتقدَّمُ خطوة ناحية الموج، وأعود خطوتين أنظر لأبي المندمج مع كوب العصير.

خطوة وخطوة ولمستُ الْمَاء فارتعدتْ قدمي وكدتُ أجري ناحية الأولاد الذين يسبحون بحُرِيَّة، وقد بدا لي أن الشَّاطئ ليس غَرِيقًا وأنَّه يمكنني أن أتقدَّم عشر خطوات، كيف نسيني أبي فلم يأمرني بشيء يَخُصُّ الْبَحْر؟ قلت لعله يخاف الموج فتقدَّمتُ وارتميتُ على الموجة القادمة واحتضنتها لأنها أجلسته هكذا بعيدًا عني، مُلُوحَة الْبَحْر لذيذة لذلك تركتها تدخل حَلْقِي كي أَظَل متذكِّرًا طعم الْبَحْر للأبد.

أنا حُرّ، الْبَحْر أمامي، وأبي خلفي، والشَّمْس فوقي، والرِّمَال تحتي، ومُلوحة العَالَم داخل روحي، أقفز لأعلى كي أمسك خيط الشَّمْس

فأقع على الرِّمَال فيغمرني الموج وأنظر لأبي وأنا منبطح على وجهي فأجده لا ينظر ناحيتي فأضحك وأقوم لأقبض على الشَّمْس مَرَّة أخرى.

راودني الْبَحْر ودعاني لألقي نفسي في حضنه ففعلت، لسعني الْبَحْر في صدري وأحاطني من كل اتجاه، وشربتُ روعة ملوحته حَتَّى دفعني شخص ما ناحية الرِّمَال، وظللت أشهق وأضحك فرحًا بملمس الْبَحْر الذي احتواني كلي داخل قلبه، نظرتُ إليه فرأيته فاتحًا ذراعيه يدعوني فقمتُ واتجهتُ ناحيته فاتحًا ذراعيَّ.

خطوتُ للبحر بكل روحي وجريتُ لأقذف روحي داخله، فشعرتُ بلسعة فوق ظهري، فلمستُ عمودي الفقري، ومسحتُ قطرات نَدِيَّة من فوق سلسلة ظهري، ونظرتُ ناحية أبي، رأيته قادمًا نحوي بطوله العملاق وقد أَلْقَى كوب العصير، وعيناه على جسدي المبلول فوقفتُ كصليب، لا أعرف هل أجري واختبئ منه في قلب الْبَحْر، أم أرتمي على الرِّمَال وأغوص فيها، أم أركب شعاع الشَّمْس؟ لكني تسمَّرتُ مكاني وأصابتني رِعْدَة حين وجدته أمامي.

مدَّ لي يده بمِصْفَاة وأشار للرمال القريبة من الموج وقال لي: "اجلس هنا واجمع الْمَاء في هذه المِصْفَاة وآتني بها مملوءة". أخذتها منه وتنفستُ بعمق، إذ إنّي ظننتُ أنَّه سيصفعني لكنَّه لم يلحظ أنّي احتضنتُ الْبَحْر.

جلستُ حيث أشار لي وترقبتُ قدوم الموج ملهوفًا أن أنتهي من جمع الْمَاء في المِصْفَاة حَتَّى أجعله يبتسم مَرَّة واحدة.

جمعتُ الْمَاء في المِصْفَاة، وأنا أقوم لأذهب إليه وجدتها فارغة، فجلستُ مَرَّة أخرى وجمعتُ الْمَاء وقمتُ أجري فكانت فارغة، عدتُ مَرَّات ومَرَّات أجمع الْمَاء وأجري إليه قبل أن يتسرَّب الْمَاء من ثقوب المِصْفَاة، لكن الْمَاء كان يترك المِصْفَاة ويرشح على رِجْلي، لم أيأس وظللتُ أملأ وأجري، أملأ وأجري، والْمَاء يتصبَّب، وحين نظرتُ إليه كان يتابعني وابتسامة تكسو ملامحه، ملأتُ المِصْفَاة وجريتُ له بسرعة، إذ كانت بي رغبة أن أقتل ابتسامته وهو ينظر للماء وهو يرشح على قدمي.

قُل

في الفصل سَأَلَتْ مُدَرِّسة التَّاريخ سؤلاً، أطبق الصَّمت على جميع التلاميذ وحَطَّ سكون الموت على كل شيء، مَرَّت بين المناضد وهي تكرِّر السؤال وما يزال السُّكوت يُحَلِّق حَوْل الحوائط ويطير فوق رؤوس التلاميذ.

على استحياء، رفع خالد يده وقال: "أنا". الْتَفَتَتْ المُدَرِّسة إليه ومسحتْ شعره وقالت: "أَجِب". فأجاب بكل ثقة وهو يبتسم، قالت: "صَفِّقوا له جميعًا". فَصَفَّقوا بأيد يملؤها الغيظ واحمر وجه خالد، وزغردتْ حَوْله العصافير، وأحسَّ أنه يطير، وظَلَّتْ التصفيقات تَرِن في روحه، وتمنَّي أن يظل زملاؤه يُصَفِّقون له هكذا للأبد دون توقف.

قالت المُدَرِّسة سأسأل سؤلاً آخر، على الفور رفع خالد يده وقال: "أنا". نظرتْ إليه وابتسمتْ ومَرَّت بين صفوف التلاميذ وهي تطرق بالمسطرة على المناضد وتقول: "ألا يعرف الإجابة أحد؟". نَظَرَ التَّلاميذ لخالد وكلهم غيظ وأراد كل تلميذ أن يخبطه بكتاب

التَّاريخ على رأسه، فقالت المُدَرِّسة: "قل يا خالد". فقال وطار وسط العصافير، وصار هُدهدًا وابتسم للتصفيقات التي حملتْ روحه بعيدًا، بعيدًا، وسط النُّجوم والسَّحاب ورأى الدنيا تصفق له.

بعد انتهاء اليوم الدِّراسي، تجمَّع التَّلاميذ حَوْل خالد وأوقفوه في دائرة، وظلوا يدفعونه في رأسه وبطنه وظهره وقالوا له: "لا ترفع يدك في حِصَّة التَّاريخ مَرَّة أخرى".

في الفصل، سَأَلَتْ المُدَرِّسة سؤلاً فساد صمت الموت ولم يتنفس أحد، ألحَّتْ المُدَرِّسة وأعادت السُّؤال مَرَّة أخرى، ونظرتْ لخالد فاحْمَر وجهه، ونَكَّس رأسه في الأرض فرأى العصافير تُغَنِّي حَوْله، وتذكَّر ما رآه وسط السَّحاب والنُّجوم ورفَّ قلبه فاندفع ورفع يده وقال: "أنا". فابتسمتْ المُدَرِّسة وظهر في عينيها نور وقالت: قل.

نَظَرَ خالد حَوْله فوجد التَّلاميذ ينظرون إليه في غيظ وأحدهم حَرَّك رأسه متوعدًا، فوضع خالد وجهه في وجه المُدَرِّسة المبتسمة والتي جاءت ومَسَحَتْ على رأسه بحنان وظلَّت تردِّد: "قل يا خالد، قل، قل".

حَقِيبَة بِطَعْم الجَسَد

كنتُ تمثالاً عاريًا، أقفُ مواجهًا الْبَحْر، أستنشق يوده وأستحم برَذَاذه وأرسم وجوها في السَّحاب، تَمُر بي السَّيَّارات وتدور حولي، كنتُ منتصبًا في قلب نافورة ماء لا يبتسم لي غير الفتيات البِكْر والأطفال، كنتُ عاريًا بفرح أمام الأبكار والأطفال، فقط كانت تزعجني نظرات العجائز وبَحْلَقَة النِّساء، فأحَاوِل أن أداري عُريي فلا أستطيع.

كنت تمثالاً عاريًا في قلب نافورة مضاءة، حين وقفتْ فتاة أحبها كثيرًا وتحبني وتبتسم لي وأبتسم لها وأرسم وجهها في السَّمَاء فتفر من عينيها دمعة، وتمسح على روحي الرُّخام فيتنفس قلبي فأبعثُ لها بروح يدي فأمسح دمعاتها وأطبطب على روحها فتهدأ وتضيء.

كنتُ واقفًا في منتصف النَّافورة حين ارتطم بي شاب بالسَّيَّارة فَتَفَتَّتُ لقطع صغيرة وتحطَّم فؤادي.

حين تركني الشَّاب وجرى وجاء النَّاس يجمعون أشلائي كنت سعيدًا جدًا؛ لأنَّه في نفس اللحظة التي تكسرتُ فيها جاءت الفتاة التي أحبها وتحبني وشاهدتْ تَفَتُّتِي فبكتْ وانحنتْ وظلتْ تبحثُ عن

أجزائي المُبَعْثرة علي رخام النَّافورة وأخذتْ قطعة من صدري ووضعتها داخل حقيبتها ورَحَلتْ وأنا ظللتُ داخل الحقيبة، أنبض، أنبض، أنبض.

الفِهرِس

دِفْء يَنَايِر ٥
عِطْر الكُرَة الأَرْضيَّة ٧
رُوح العَالَم ٩
تَسِير عَلى نَجْمَتَين ١١
رُوح السُّكَّر ١٥
رُوح الشِّكُولَاتة ١٧
دِفْء يَنَايِر ١٩
فَرَح الرُّوح ٢٣
رُوح الشَّمْس ٢٧
بَحْر النُّور ٣٠
سَحَابة عِطْر ٣٣
دِفْء السَّمَاء ٣٥
مَائِدة السَّمَاء ٣٧
حَلِيب الرَّبّ ٣٩
طَبَق المَحَبَّة ٤١
خَمْس رِيشَات ٤٤
رُومَاني جِرْجِس بُولس ٤٨
حَوْصَلة فِضْيَّة خَضْرَاء خَالِصَة ٥١
رُومَاني ٥٧
حُزْن مَمْلوء بِبَقَايا الضَّوْء والحَلِيب ٦٣
سَأَلْعَب ٦٥

دِفْء خَاص..... ٦٧
قَلْب السَّمَكة..... ٦٩
المَوْكِب..... ٧٣
فَأْر حَلاوة..... ٧٥
رُوح مُعَلَّقة..... ٧٨
مِسْك الأَبَد..... ٨٠
يُوسُف إدْرِيس..... ٨٥
عِنَب العَصَافِير..... ٨٧
شَمْعَة تُضِيء الرُّوح..... ٨٩
كَلْب أَخْضَر يَعْرِف اسْمِي..... ٩٢
شَجَرة عَصَافِير بُرْتُقَالِيَّة..... ٩٥
الصِّرَاط..... ٩٧
كَيْف تَصْطَاد خُيوط الشَّمْس..... ٩٩
جَامِع المَاء..... ١٠٢
قُل..... ١٠٥
حَقِيبَة بِطَعْم الجَسَد..... ١٠٧

صدر للكاتب

(القصص القصيرة)

أنا الإمام	جماعة أصيل ١٩٩٥
ساكن الْبَحْر	دار الوفاء ١٩٩٨
فقط سوياً	دار الوفاء (مشترك) ١٩٩٩
أنا الإمام	دار الوفاء ط٢ ١٩٩٩
حكي الأربعاء	وزارة الثقافة (مشترك) ٢٠٠١
فيما يشبه الركوع	دار النسيم ٢٠١٤
دفء يناير	دار حسناء للنشر ٢٠١٨

(مسرحيات)

الرجل الذي اشترى حُلماً ومسرحيات أخرى
عن دار حسناء للنشر ٢٠١٧

نشر أعماله الإبداعية في العديد من الدوريات العربية والمصرية

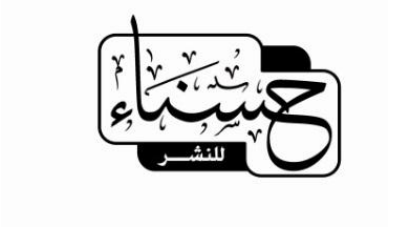

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

حسناء للنشر والتوزيع